الفصل الرابع
لغات بين التحريك والإسكان

المبحث الأول : بين الفتح والضم

في العربية ثلاث حركات أو صوائت قصيرة هي الفتحة والضمة والكسرة، والفتحة هي أخف هذه الحركات وأقلها جهداً عضليا على الإطلاق، تليها الكسرة، وأثقلها الضمة.[1] وعليه يكون بديهيا لو أننا عللنا لما قرئ بالفتح بأنه قد اختير دون غيره لخفته، وكذلك ما قرئ بالإسكان، وأن ما قرئ بالكسر قد اختير لأنه أخف من الضم. إن ذلك يبدو منطقيا جداً، ولكنه - مع ذلك - يعتمد على بعض العلل اللغوية التي تخص بعض القراءات دون الأخرى نتيجة لما يتميّز به بعض الأحرف عن غيرها، سوف نتحدث عنها بعد قليل.

أولا : المختلف فيه بين الفتح والضم

وعدد أحرف ذلك اثنا عشر (١٢) حرفا، هي المبيّنة في الجدول الآتي :

جدول رقم : (٦)

الرقم التسلسلي	الحرف المختلف فيه	من قوله تعالى	السورة ورقم الآية	بالفتح / بالضم	المقـــرئ
١	غَرفة	وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ	البقرة ٢٤٩	بفتح الغين	ابن كثير ونافع وأبو عمرو
				بضم الغين	ابن عامر وعاصم وحمزة الكيسائي
٢	بربوة	كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ	البقرة ٢٦٥	بفتح الراء	عاصم وابن عامر
				بضم الراء	ابن كثير وأبو عمرو ونافع وحمزة والكسائي

(١) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية: ص١٢٧ .

٣	ميسرة	وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ	البقرة ٢٨٠	بفتح السين	السبعة عدا نافع
				بضم السين	نافع
٤	قرح	إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ	آل عمران ١٤٠	بفتح القاف	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم (رواية حفص)
				بضم القاف	حمزة والكسائي وعاصم (رواية شعبة)
٥	كرها	لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كُرْهًا	النساء ١٩	بفتح الكاف	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم
				بضم الكاف	حمزة والكسائي
٦	بالبخل	وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبُخْلِ	النساء٣٧	بفتح الباء	حمزة والكسائي
				بضم الباء والخاء	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم
٧	بزعمهم	فَقَالُوا هَذَا لله بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا	الأنعام ١٣٦	بفتح الزاي	السبعة عدا الكسائي
				بضم الزاي	الكسائي
٨	الرشد	وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَيَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً	الأعراف ١٤٦ والكهف ٦٦	بفتح الراء	حمزة والكسائي
				بضم الراء	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم
٩	ضعفا	الآنَ خَفَّفَ الله عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضُعْفًا	الأنفال ٦٦	بفتح الضاد	عاصم وحمزة
				بضم الضاد	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي
١٠	هيت	وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ	يوسف ٢٣	بفتح التاء	أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي نافع وابن عامر(١)
				بضم التاء	ابن كثير

(١) نافع وابن عامر قرآ هذا الحرف بكسر الهاء وفتح التاء.

١١	السَّدَيْن	حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً	الكهف ٩٣	بفتح السين	ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (رواية حفص)
				بضم السين	نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم (رواية شعبة)
١٢	الصُّدفيْن	حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا	الكهف ٩٦	بفتح الصاد والدّال	نافع وحمزة والكسائي وعاصم (رواية حفص)
				بضم الصاد والدّال	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم (رواية شعبة)

إن الذي يمكن استخلاصه من هذا الجدول أمرين اثنين:

١ – أن معظم المختلف فيه بين الفتح والضم من هذه الأحرف المذكورة جاء فاء للكلمة، وذلك يصدق أيضا على أكثر الأحرف التي لم نذكرها والمختلف فيها بين الفتح والضم. ولم يختلف في غير فاء الكلمة من الأحرف المذكورة سوى في ثلاثة أحرف هي الحاملة للأرقام: ٣ (ميسرة) الذي اختلف في السين منه وهي عين الكلمة، و١٠ (هيت) الذي اختلف في التاء منه وهي لام الكلمة، و١٢ (الصدفين) الذي اختلف في الدال منه وهي عين الكلمة وذلك تبعا لاختلافهم في الصاد منه وهي فاء الكلمة.

٢ – أن اختيار القراء بين الفتح والضم اختيار متوازن إلى حد كبير، فقد تساوت نسبة القراءة بالفتح والقراءة بالضم عند كل من ابن كثير ونافع وابن عامر فقرأ كل واحد منهم ست مرات بالفتح وست مرات بالضم. وقرأ كل من أبي عمرو وحمزة سبع مرات بالفتح وخمس مرات بالضم، وعكس الكسائي فقرأ خمس مرات بالفتح وسبع مرات بالضم. وكان عاصم أكثرهم ميلا إلى القراءة بالفتح حيث بلغت نسبة ذلك عنده ٦٢,٥٪ ونسبة الضم ٣٧,٥٪.

ثانيا : علل المختلف فيه بين الفتح والضم

إن البحث في أمر التعليل لهذا المختلف فيه بين الفتح والضم المبيّن في الجدول السابق (رقم ٦) لابد أن يُعوّل فيه على شيء مما يأتي :

١ – أنّ هذا الاختلاف لغات من لغات العرب كله جائز؛ فالفتح جائز فصيح والضم جائز فصيح أيضا، يدعم ذلك ما لوحظ عند القراء حيث «لم يكن لهم مذهب واحد في القراءة بالفتح أو بالضم»[١]. وقد ذهب بعض الدارسين إلى أن الفتح لغة أهل الحضر وأن الضم لغة أهل البوادي[٢]، ولكن ذلك لا يصدق في جميع الحالات، ونحن نفضل أن يقال : إن الفتح غالب عند الحجازيين وإن الضم غالب عند غيرهم من أهل نجد[٣]. ووصف الفتح والضم بأن كلا منهما لغة أمرٌ كثيرا ما تشير إليه المعاجم العربية والدراسات اللغوية القديمة، فالحرف رقم ١ (غرفة) ورد بخصوصه في لسان العرب : « والغَرفة والغُرفة ما غُرف »[٤] من ماء ومرق ونحوهما. وقال ابن خالويه في فتح الراء وضمها من الحرف رقم ٢ (بربوة) : « وهما لغتان فصيحتَان »[٥] قيل الفتح لغة تميم والضم لغة قريش[٦]. وهو ما علل به قراءة الفتح والضم في الحرف رقم ٣ (ميسرة)[٧] وبه علل الأزهري قراءة الفتح والضم في الحرف رقم ٤ (قرح)[٨]. وفي لسان العرب أن « القَرح والقُرح لغتان . . . وأكثر القراء على فتح القاف »[٩]. وورد بخصوص الحرف

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية : ص ١٣١ .

(٢) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية : ص١٣٢ .

(٣) انظر : من لغات العرب : لغة هذيل – عبدالجواد الطيب – القاهرة ١٩٨٥، ص٣٠ .

(٤) لسان العرب : ٥ / ٣٢٤٢، مادة : غرف .

(٥) الحجة في القراءات السبع : ص١٠٢، وقيل إن في « ربوة » لغات ذكر منها في لسان العرب تسع هي : الرَّبْوُ والرَّبْوَة والرُّبْوَة والرِّبْوَة والرُّباوة والرِباوة والرّابية والرُّبَاة (انظر : مادة : ربا) .

(٦) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : ص٣١٠ .

(٧) انظر : الحجة في علل القراءات السبع : ص١٠٣ . (٨) انظر : معاني القراءات : ١ / ٢٧٤ .

(٩) لسان العرب : ٥ / ٣٥٧١ مادة : قرح .

رقم ٥ أن أهل اللغة أجمعوا على «أن الكَرْهَ والكُرْهَ لغتان فبأي لغة وقع فجائز»[١]. وقال الأزهري بخصوص الحرف رقم ٦ إن الفتح والضم فيه «هما لغتان؛ البُخْلُ والبَخَلُ، فاقرأ كيف شئت»[٢]. وكذلك الأمر بالنسبة للحرف رقم ٧ فإنهم يُجمعون على أن الزَّعْمَ والزُّعْمَ لغتان فصيحتان، قيل الفتح لغة أهل الحجاز والضم لغة بني أسد[٣]، وذكر الفرّاء لغة ثالثة الزِعْمُ بكسر الزاي[٤]. كما أجمعوا أيضا على أن فتح الراء وضمها من الحرف رقم ٨ (الرشد) لغتان في مصدر «رشد» إضافة إلى لغة ثالثة هي الرَّشاد. وفي لسان العرب أن «الرُّشْدَ والرَّشَدَ والرَّشاد: نقيض الغيّ. رَشَدَ الإنسان - بالفتح - يَرْشُدُ رُشْداً بالضم، ورَشِدَ - بكسر الشين - يَرْشَدُ رَشَداً ورشاداً»[٥]. كذلك فتح الضاد وضمها من الحرف رقم ٩ (ضعفا) فهما عند أهل البصرة سيّان كما حكاه الأزهري[٦]، وإن كان بعضهم يخصّ الضَّعف بفتح الضاد في ضعف الفعل والرأي، ويخصّ الضُّعف بضم الضاد في ضعف البدن[٧].

كذلك حال فتح السّين وضمها من الحرف رقم ١١ (السّدّين) وفتح الصاد وضمها من الحرف رقم ١٢ (الصّدفين) فإن ذلك مُجْمَعٌ عليه على أنه من لغات العرب بأي قرأت فقراءتك جائزة، غير أنهم اختلفوا في نسبة فتح الصاد وضمها من الحرف الأخير فقيل: الفتح لغة تميم والضم لغة الحجازيين، وقيل: الفتح لغة الحجازيين والضم لغة غيرهم[٨].

---

(١) لسان العرب: ٥/٣٨٦٥ مادة: كره.
(٢) معاني القراءات: ١/٣٠٨ وانظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٢٣ .
(٣) انظر: معاني القراءات: ١/٣٨٨ والحجة في القراءات السبع، ص١٥٠ .
(٤) معاني القرآن: ١/٣٥٦ .
(٥) لسان العرب: ٣/١٦٤٩ مادة: رشد. وانظر: معاني القراءات: ١/٤٢٣ .
(٦) معاني القراءات: ١/٤٤٤، وانظر: لسان العرب: ٤/٢٥٨٧ . مادة: ضعف.
(٧) انظر: الكشاف: ٢/٢٣٥ ولسان العرب، مادة: ضعف.
(٨) انظر: طلائع البشر، ص١٥٤ .

٢ – أن هذا الاختلاف مقيس على غيره، له نظير أو شبيه في كلام العرب، وذلك مذهب أبي علي الفارسي في تعليله لبعض الأحرف التي قرئت بالفتح والضم، مثل فتح السّين من الحرف رقم ٣ (فميسرة) حيث ذهب إلى أن «حجة من قرأ (إلى مَيْسَرة) – بفتح السين – أنّ مَفْعَلَة قد جاء في كلامهم كثيراً. وأما من قرأ (إلى مَيْسُرَة) بضم السّين فلأن مَفْعُلَة قد جاء أيضا في كلامهم؛ قالوا: المَشْرُبَة[١]، وقالوا: المَشْرُقَة[٢][٣]».

وعلة النظير هذه أخذ بها الفارسي أيضا في فتح الراء وضمها من الحرف رقم ٤ (قرح)، «فعنده قَرْحٌ وقُرْحٌ مثل الضَّعْفِ والضُّعْفِ، والكَرْهِ والكُرْهِ، والفَقْرِ والفُقْرِ، والدَّفِّ والدُّفِّ، والشَّهْدِ والشُّهْدِ»[٤].

وقد استند إلى هذه العلة ابن خالويه أيضا في تفسيره لقراءتيْ الفتح والضم من الحرف رقم ٦، فعنده أن البُخْلَ والبَخَلَ «كالعُدْمِ والعَدَمِ، والحُزْنِ والحَزَنِ»[٥]. وبها أيضا فسّر الفتح والضم في الحرف رقم ٨ فعنده أن الرُّشْدَ والرَّشَدَ «كقولهم: السُّقْمُ والسَّقَمُ»[٦]. وذهب إلى أن ضم التاء من الحرف رقم ١٠ (هيت) شبيه بضم الثاء من حيث، وأن فتحها وفتح الهاء معها شبيه بفتح أول وآخر: كَيْفَ وأَيْنَ ولَيْتَ[٧].

وقد عوّل مكي بن أبي طالب القيسي على هذه العلة في تفسيره لفتح السّين وضمها من الحرف رقم ١١ إذ يرى أن السَّدَّ والسُّدَّ كالضَّعْفِ والضُّعْفِ والفَقْرِ والفُقْرِ[٨].

---

(١) المشربة: هي أراضٍ دائمة النبات في الشتاء.
(٢) المشرقة: هو موضع القعود قبالة الشمس في الشتاء.
(٣) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٣٠٨.
(٤) نفسه: ٢/٣٨٥.
(٥) الحجة في القراءات السبع: ص١٢٣.
(٦) الحجة في القراءات السبع: ص١٦٤.
(٧) إعراب القراءات: ١/٣٠٧ وانظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٩٤.
(٨) الكشف عن وجوه القراءات: ٢/٧٥.

٣ – أن بعض هذا الاختلاف مرجعه إلى المجاورة أو الاتباع بغرض الانسجام الصوتى (Vowel Harmony)، وذلك ما نلاحظه على وجه الخصوص في الحرفين رقم ١١ (السّدّيْن) ورقم ١٢ (الصّدفيْن) فإن فتح السين في الأول تلائم فتح الدال التي بعدها، وأن ضم الدال في الثاني إنما كان إتباعًا لضم الصاد التي قبلها في قراءة من ضم[١].

وإن إتباع الحركة الحركة ليكون أكثر استحسانا إذا كانت الحركات المتتابعة فتحات كما هو الحال في قراءة الفتح بالأحرف «مَيْسَرَة» و«بالبَخَل» و«الرَّشَد وكذلك «هَيْتَ»، فإن توالي الفتحات في هذه الأحرف وماشابهها يجعل الأصوات أكثر انسجاما وخفة لما يتميّز به الفتح في اللسان العربي من خفة كما أشرنا إليه في مقدمة هذا الفصل.

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع. ص٢٣٢ .

المبحث الثاني : بين الفتح والكسر

أولا : المختلف فيه بين الفتح والكسر

هذا بيان بما اختلف فيه من ذلك في النصف الأول من القرآن الكريم. وعدد ذلك خمسة عشر (١٥) حرفا منها ثلاثة مكررة هي الحاملة للأرقام: ١، ٣، ٩ .

جدول رقم : (٧)

الرقم التسلسلي	الحرف المختلف فيه	من قوله تعالى	السورة ورقم الآية	بالفتح/بالكسر	المقرئ
١	السّلم	ادْخُلُوا في السّلْمِ كَافَّةً ، وَإِنْ جَنَحُوا لِلسّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا	البقرة ٢٠٨	بفتح السين	ابن كثير ونافع والكسائي وحمزة وأبو عمرو وابن عامر (في الأنفال)
			الأنفال ٦١	بكسر السين	عاصم وحمزة وأبو عمرو وابن عامر (في البقرة)
٢	عَسيتم	قَالَ هَلْ عَسيتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا	البقرة ٢٤٦	بفتح السين	السبعة عدا نافع
				بكسر السين	نافع
٣	نِعِمّا	إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ، إِنَّ الله نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ	البقرة ٢٧١	بفتح النون	ابن عامر وحمزة والكسائي
			النساء ٥٨	بكسر النون	ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو
٤	يَحْسَبَهم	يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ	البقرة ٢٧٣	بفتح السين	ابن عامر وعاصم وحمزة
				بكسر السين	ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي
٥	حجّ	وَلله عَلَى النّاسِ حَجّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً	آل عمران ٩٧	بفتح الحاء	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم (رواية شعبة)
				بكسر الحاء	حمزة والكسائي وعاصم (رواية حفص)

٦	حَرَجا	وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا	الأنعام ١٢٥	بفتح الراء	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم (رواية حفص)
				بكسر الراء	نافع وعاصم (رواية شعبة)
٧	حصاده	كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ	الأنعام ١٤١	بفتح الحاء	أبو عمرو وعاصم وابن عامر
				بفتح الحاء	ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي
٨	نَعَمْ	ونَادَى أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدنا ما وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ	الأعراف ٤٤	بفتح العين	السبعة عدا الكسائي
				بكسر العين	الكسائي
٩	ولاية	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَالَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا. هُنَالِكَ الوَلَايَةُ لله الحَقِّ	الأنفال ٧٢	بفتح الواو	السبعة عدا حمزة
			الكهف ٤٤	بكسر الواو	حمزة
١٠	غلظة	يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً	التوبة ١٢٣	بفتح الغين	عاصم (في رواية المفضل)
				بكسر الغين	السبعة
١١	هيت	وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ	يوسف ٢٣	بفتح الهاء	ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي
				بكسر الهاء	نافع وابن عامر
١٢	يقنط	قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ	الحجر ٥٦	بفتح النون	ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة
				بكسر النون	أبو عمرو والكسائي

١٣	ضيق	وَلَاتَكُ في ضِيقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ	النحل ١٢٧	بفتح الضاد	السبعة عدا ابن كثير
				بكسر الضاد	ابن كثير
١٤	أفّ	أَمَّـا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا	الإسراء ٢٣	بفتح الفاء	ابن كثير وابن عامر (أفٌّ)
				بكسر الفاء	أبو عمرو وحمزة والكسائي وشعبة (أفٍّ) نافع وحفص (أفٌّ)
١٥	خطأً	إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خَطْئًا كَبِيرًا	الإسراء ٣١	بفتح الخاء	ابن عامر
				بكسر الخاء	نافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي (خِطْأً)، ابن كثير (خِطَاءً)

ويمكننا أن نسجل الملاحظتين الآتيتيْن بخصوص هذا المختلف في قراءته بين الفتح والكسر المثبت في الجدول السابق:

١ – أن المختلف فيه بين الفتح والكسر من الأحرف المذكورة قد انحصر في فاء الكلمة أو عينها، حيث بلغ عدد المختلف في فائه تسعة (٩) أحرف هي الحاملة للأرقام: ١، ٢، ٥، ٧، ٩، ١٠، ١١، ١٣، ١٥.

وبلغ عدد المختلف في عينه (ثانيه) ستّة (٦) أحرف هي الحاملة للأرقام: ٣، ٤، ٦، ٨، ١٢، ١٤. وهو ما يعني أن نسبة المختلف في أوله من مجموع الأحرف المذكورة بلغت ٦٠٪، وبلغت نسبة المختلف في ثانيه ٤٠٪، وبناء على ذلك نفهم أن أوائل الكلم في العربية أكثر عرضة للاختلاف فيها بين الفتح والكسر.

٢ – تبانيت نسب قراءتي الفتح والكسر بين القراء في الأحرف المذكورة عدا أبي عمرو وحمزة اللذين تساوت عندهما نسبة الفتح (٥٦,٦٦٪) وكذا نسبة الكسر (٤٣,٣٣٪). وتعاكست النسبتان عند إمامي الحرمين ابن كثير ونافع، فبلغت

نسبة قراءة الفتح عند الأول ٦٠٪ ونسبة الكسر ٤٠٪، وبلغت نسبة الفتح عند الثاني ٤٠٪ ونسبة الكسر ٦٠٪.

وقد كان ابن عامر أكثرهم فتحًا (٨٣,٣٣٪) يليه عاصم (٦٣,٣٣٪) ثم ابن كثير (٦٠٪) ثم أبوعمرو وحمزة (٥٦,٦٦٪) ثم الكسائي (٤٦,٦٦٪) ثم نافع (٤٠٪). وبناء على ذلك فإن نافعًا أكثرهم كسرًا (٦٠٪) يليه الكسائي (٥٣,٣٣٪).

وبالجملة فإن النسبة العامة للفتح عند مجموع القراء في الأحرف المذكورة سابقا قد بلغت ٥٨,١٪ تقريبًا، وبلغت نسبة الكسر ٤١,٩٪ تقريبًا، وهو أمر يتوافق مع ما ثبت في اللغة من أن اللسان العربي ميّال إلى الفتح.

ثانيا : علل المختلف فيه بين الفتح والكسر

إن التعليل لما اختلف فيه بين الفتح والكسر لا يخرج في معظمه عما عللنا به لما اختلف فيه بين الفتح والضم، خاصة من ذلك:

١ - **أن هذا الاختلاف لغات فصيحة**، وهو أمر نؤكد عليه في جميع أوجه الخلاف من هذا الفصل، حيث يبدو أنه هو الأصل المقدم وبقية الأسباب أو العلل فرع عليه لاحقة به.

تذكر كتب اللغة أنّ «أهل الحجاز يميلون إلى الفتح، وأن قبائل قيس وتميم تميل إلى الكسر»(١).

ونحن نستطيع أن ننسب الفتح للقبائل الحجازية بعامة، والكسر للقبائل النجدية، وذلك في حالة ثبوت القراءة بهما في الحرف الواحد، غير أن ذلك لا يعني أبدًا أن الحجازيين يلتزمون الفتح في لغتهم وأن النجديين يلتزمون هم أيضا الكسر في لغتهم، فقد ثبت في الأثر أمثلة عكس الذي اشتهر عن هؤلاء وهؤلاء، من ذلك أن

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: ص١٢٩ .

قراءة الفتح في الحرف رقم ٤ المتمثل في «يَحْسَبُهُمْ» تعزى إلى التميميين وأن الكسر فيه يعزى إلى الحجازيين[١] . وهذا يعني أن نسبة الفتح لأهل الحجاز حيث ينسب الكسر لأهل نجد هو من باب التغليب ليس إلا، وإنه ليكون أحيانا صعبًا للغاية أن نحدد صاحب الفتح وصاحب الكسر، ولذلك كثيرا ما نجد علماء العربية والقراءات يشيرون في مصنفاتهم إلى أن «بعض» العرب قرأوا بالفتح و«بعضهم» قرأوا بالكسر، أو أن هذا «لغة» وذلك «لغة» أخرى، وهو المذهب الغالب عند أصحاب المعاجم العربية، وقد بني عليه ابن السكيت (١٨٦ - ٢٤٤ هـ) كثيراً من الأمثلة التي ساقها في كتابه «إصلاح المنطق» في باب ماجاء على فَعَلْتُ وفَعِلْتُ بمعنى وباب ما نُطِقَ به بفَعِلْتُ وفَعَلْتُ، من ذلك[٢]:

* «حَقَدْتُ عليه أحْقِدُ حِقْدًا، وحَقِدْتُ أَحْقَدُ لغة».
* «وقد حَذَقَ الغلامُ القرآن والعملَ يَحْذِقُ.. وقد حَذِقَ يَحْذَقُ».
* «وقد زَلَلْتَ يافلان تَزِلُّ.. وقال الفراء: يقال زَلِلْتَ تَزَلُّ».
* «وقد نَكِفْتُ من الأمر أنْكَفُ إذا استنكفت منه، قال الفراء: ونَكَفْتُ عنه لغة».
* «وقد رَكِنْتُ إلى الأمر أَرْكَنُ إليه رُكُونًا، ورَكَنْتُ أَرْكُنُ لغة، إذا ملت إليه».
* «ويُقال: فَضَلَ الشَيْءُ يَفْضُلُ، وفَضِلَ يَفْضَلُ».

وأمثله هذا كثيرة في اللغة، ونحن نعتقد أن مَنْ لم ينسب ذلك من العلماء إلى بعض العرب دون البعض الآخر يكون قد فعل ذلك لأن الفتح فصيح والكسر فصيح كذلك، وأنه لا يهمهم بعد ذلك إذا عُرف صاحب الفتح وصاحب الكسر أو لم يعرف.

وإذا علمنا أن العرب قد تأثروا بلسان غيرهم من الأقوام الأخرى، فإن تأثيرهم

---

(١) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية: ص١٢٩ .
(٢) راجع: إصلاح المنطق: ص٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٣ .

في بعضهم البعض واختلاط لغاتهم أمر طبيعي جدًا، إذ لا يحُول كونهم قبائل وفصائل دون تأثير بعضهم في البعض الآخر، وعليه أمكنك أن تجد ما ينسب لأهل الحجاز في العادة ينسب إلى أهل نجد في أحيان أخرى كما هو حال الفتح، فإنّ فتح الراء من الفعل «نَفْرَغُ» هو لغة تميم والكسر لغة أهل الحجاز[١]. و«غشاوة» بفتح الغين لغة ربيعة[٢]. و«ما فتئت أذكره» تقول فيها تميم: ما فتأت بفتح التاء[٣].

كل هذا يجعلنا نتحفظ بعض الشيء في نسبة ظاهرة لغوية معيّنة إلى بعض العرب دون البعض إلا إذا كان ذلك على سبيل التغليب.

ويزيد من تأكيد هذا الأمر أن كسر العين من الحرف رقم ٨ المتمثل في «نَعِمْ» لغة لهذيل كانت جارية في قريش أيضا، فقد رُوي أن الرسول ﷺ كان ينطقها كذلك، أي بكسر العين، وأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يستحب نطقها بالكسر أيضا[٤].

ويزيد من تأكيد هذا أيضا أن في «لسان العرب» قولا يشير إلى أن أشياخ قريش ما كانوا ينطقون «نعم» إلا بكسر العين[٥].

وقد أرجع كثير من علماء العربية والقراءات معظم هذا الاختلاف بين الفتح والكسر إلى اختلاف لغات العرب؛ من ذلك أن الحرف رقم ١ المتمثل في «السلم» قال العكبري في فتح السين وكسرها منه: «والسّلم بكسر السّين وفتحها لغتان، وقد قرئ بهما، وهي مؤنثة»[٦]. والحرف رقم ٢ المتمثل في «عسيتم» قال الفارسي بشأنه: «الأكثر فيه فتح السّين وهي [اللغة] المشهورة»[٧]. وقال الأزهري في كسر سينه:

---

(١) انظر: في اللهجات العربية: ص٩٩ .
(٢) في اللهجات العربية: ص٩٩ .
(٣) نفسه، ص٩٩ .
(٤) لسان العرب: ٦/ ٤٤٨٥ مادة: نعم.
(٥) نفسه: ٦/ ٤٤٨٥، مادة: نعم.
(٦) إعراب ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات: ٢/ ٩ .
(٧) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٢٦٢ .

«وأنا أحسبها لغة لبعض العرب»[١]. ونبّه الأزهري أيضا في الحرف رقم ٥ المتمثل في «حج» إلى أن كسر الحاء فيه «لغة أهل نجد والفتح لغة أهل العالية»[٢]. كما أشار إلى أن فتح الراء وكسرها في الحرف رقم ٦ المتمثل في «حرجا» «لغتان معناهما الضّيق»[٣]. وهو ما ذهب إليه في الحرف رقم ٧ المتمثل في «حصاده» حيث أشار إلى أن فتح الحاء وكسرها فيه «هما لغتان»[٤]. الفتح لغة أهل الحجاز والكسر لغة تميم. ويبدو أن التميميين كانوا يميلون إلى كسر فاء «فعال» إذا كان اسما دالا على فلاحة كما هو حال «قطاف» فإنهم ينطقونها بكسر القاف كما نطقوا «حصاد» بكسر الحاء. ويذهب أهل الحجاز عكس ذلك فيفتحون الفاء، وهي اللغة الغالبة.

أما الحرف رقم ٩ المتمثل في «ولاية» فقد أشار معجم لسان العرب إلى فصاحة فتح الواو فيه وفصاحة كسرها كذلك، وفيه عن ابن سيده: «وَلِيَ الشيْء ووَلِيَ عليه وِلاَيَةً بالكسر ووَلاَيَةً بالفتح»[٥]. قيل الفتح لغة الحجاز والكسر لغة تميم[٦]. كذلك الحال بالنسبة لفتح الغين وكسرها من الحرف رقم ١٠ المتمثل في «غلظة» فهما لغتان[٧]. والكسر أكثر استعمالا وأشهر[٨]. والحال كذلك بالنسبة للحرف رقم ١٢ المتمثل في «يقنط» فكسر النون لغة أهل الحجاز وأسد وفتحها لغة غيرهم[٩]. كذلك الأمر نفسه في الحرفين: رقم ١٣ (ضيق) ورقم ١٥ (خطأ) إذ أن فتح أوليْهما وكسرهما لغتان في مصدر فعليْهما[١٠].

---

(١) معاني القراءات: ١/ ٢١٤ .
(٢) معاني القراءات: ١/ ٢٦٩ .
(٣) معاني القراءات: ١/ ٣٨٤ .
(٤) معاني القراءات: ١/ ٣٩٢ .
(٥) لسان العرب: ٦/ ٤٩٢٠، مادة: ولي.
(٦) انظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: ص٣١١ .
(٧) انظر: معاني القراءات: ١/ ٤٦٩ .
(٨) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٧٩ .
(٩) طلائع البشر: ص١٣٢ .
(١٠) انظر: إعراب القراءات: ١/ ٣٦١، ومعاني القراءات: ٢/ ٨٥، والكشف عن وجوه القراءات: ٢/ ٤١ .

وأما الحرفان: رقم ١١ (هيت) ورقم ١٤ (أف) فقد رُويت في كل منهما مجموعة من اللغات منها لغة في فتح الآخر منهما ولغة في كسره.

فأما «هيت» فقد رُويت فيها ثلاث لغات فصيحة إحداها بفتح الهاء والتاء هي التي قرأ بها الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي وكذا أبوعمرو البصري، وأخرى بكسر الهاء وفتح التاء قرأ بها نافع وابن عامر، وثالثة بفتح الهاء وضم التاء وهي التي قرأ بها ابن كثير. هذا بالإضافة إلى لغتيْن غير فصيحتيْن قرئ بهما شذوذا، الأولى بفتح الهاء وكسر التاء (هَيْتِ)، والثانية بكسر الهاء وضم التاء (هِيتُ)[١]، ولغتين أخريين بالهمز بدل الياء (هِئْتُ) وبالياء والهمز (هُيِّئْتُ)[٢].

ويعتبر الدارسون «هَيْتَ» بفتح الهاء والتاء هي أجود اللغات وأفصحها، لما فيها من الانسجام الصوتي وإتباع الفتح الفتح، وهي قراءة أهل العراق.

وأما «أفّ» فرويت فيها سبع لغات منها ثلاث فصيحة وردت بها قراءات مشهورة هي:

* أُفٍّ بفتح الفاء، قرأ بها ابن كثير وابن عامر.

* أُفٍّ بكسر الفاء، قرأ بها أبوعمرو وحمزة والكسائي.

* أُفٌّ بتنوين الكسر، قرأ بها نافع وعاصم.

وتشير الدراسات إلى أن كسر الفاء هي لغة أهل الحجاز واليمن، وأن فتحها هي لغة قيس[٣].

وأما اللغات الأربع الأخرى التي لم يُقرأ بها في الصحاح، وقرئ ببعضها شذوذا[٤]، فهي: «أُفٌّ» بضم الهمزة والفاء، و«أُفٌّ» بتنوين الضم، و«أُفًّا» بتنوين

---

(١) انظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ص٣٨٢.

(٢) انظر: المحتسب: ١/٣٣٧.

(٣) انظر: طلائع البشر: ص١٣٩.

(٤) انظر: المحتسب: ٢/١٨.

الفتح، و«أُفْ» بإسكان الفاء[1]. وذكر بعضهم لغة أخرى هي «أُفًى» كذا في «المحتسبَ»[2] : بضم الهمزة وفتح الفاء والتضعيف ثم القصر. قال ابن جني : «وهي التي يقول لها العامة أُفِيّ بالياء»[3]. وهي في «الحجة» لابن خالويه : أَفًى بفتح الهمزة والفاء على وزن «فَعْلَى»[4].

٢ – **علل أخرى** : وهي التي قلنا عنها إنها فرع لعلة اختلاف لغات العرب، وتكون لاحقة بها، وأهمها :

أ – **الانسجام الصوتي أو الاتباع** : وهو قانون صوتي أساسي عوّل عليه كثير من الدارسين في تطوّر حركات الكلمات، ذلك أن الكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطوّرها إلى الانسجام بين هذه الحركات حتى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية[5]. ومن أمثلة هذا الانسجام الصوتي في اللهجات العربية[6] :

١ – أن أهل الحجاز يقولون «بَرَأْتُ من المرض» بفتح الراء توقا لتحقيق نوع من الانسجام بين الحركات بجعل حركتي فاء الكلمة وعينها من جنس واحد هو الفتح، أما بقية العرب فيقولون «بَرِئْتُ» بكسر الراء.

٢ – أن الكلابيّين كانوا ينطقون كلمة «تَفَاوَتٌ» بفتح الواو عملا على تحقيق انسجام مع الفتحة الطويلة التي قبلها، ويقول بقية العرب «تَفَاوُتٌ» بضم الواو، وهي اللغة الغالبة في مصدر الفعل.

٣ – أن تميما وأسداً تنطق كلمات مثل : بعير وشهيد ورئيس بكسر الحرف الأول عملا على تحقيق ذلك الانسجام باتباع الكسر الكسر.

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص٢١٥ ومعاني القرآن: ٢/ ١٢١، ومعاني القراءات: ٢/ ٩١ .

(٢) انظر: المحتسب: ٢/ ١٨ .

(٣) المحتسب: ٢/ ١٨

(٤) الحجة في القراءات السبع: ص٢١٥ .

(٥) في اللهجات العربية: ص٩٦ – ٩٧ .

(٦) انظر: المرجع السابق: ص٩٦ – ٩٧ .

هذا، وإن الملاءمة بين الحركات في العربية كثيرة، وهدفها تحقيق ذلك الانسجام.

وإذا عدنا إلى الأحرف المذكورة المختلف فيها بين الفتح والكسر وجدنا أمثلة تقوم على تحقيق الانسجام الصوتي، من ذلك:

- الحرف رقم ٢ المتمثل في «عسيتم» فإن قراءته بفتح السين إنما كان إتباعا وملاءمة لفتح العين، وكسرها إنما كان للياء التي بعدها لأن الكسر والياء من جنس واحد. وذلك ما نجده محققا في كسر الضاد من الحرف رقم ١٣ (ضيق).

- كذلك الحرف رقم ٣ المتمثل في «نعمّا» إذ أن قراءته بكسرالنون إنما كان لكسر العين عملا على تحقيق ذلك الانسجام الصوتي. قال بعض الدارسين بخصوص قراءة الكسر في هذا الحرف: «وقرئ بكسر النون إتباعا لكسر العين لأن حرف الحلق إذا كان عينا للفعل وهو مكسور أُتبع بما قبله فكسر لكسره»(١).

والحقيقة أن العمل على تحقيق الانسجام الصوتي واقع مع حروف الحلق ومع غيرها، وهو ما تدل عليه أمثلة كثيرة من الأفعال التي ليس عينها حرف حلق، وهو ما تشير إليه صيغة «فَعَلَ» بفتح الأول والثاني والثالث.

- كذلك الأحرف: رقم ٦ (حرجا) ورقم ٧ (حصاده) ورقم ٩ (ولاية) ورقم ٨ (نعم) ورقم ١٥ (خطأ)، فإن فتح أوائلها ملائم لفتح ثانيها ومحقق لانسجام صوتي، وإن توالي الفتحات فيها يجعلها أخف على اللسان من توالى الضم أو الكسر.

ب - القياس والشبه : بعض القراءات في الأحرف المذكورة السابقة مقيسة على غيرها مما اشتهر من اللغات العربية، أو هي مشبهة ببنية بعض الألفاظ في العربية محمولة عليها، من ذلك:

- أن القراءة بفتح السين من الحرف رقم ٤ (يحسبهم) هي قراءة قياسية، قال ابن خالويه: «فالحجة لمن فتح أنه أتى بلفظ الفعل المضارع على ما أوجبه بناء ماضيه

(١) طلائع البشر: ص٥٠.

لأن «فَعِلَ» بالكسر يأتي مضارعه على «يَفْعَلُ» بالفتح قياس مطرد»[1]. وقال الفارسي: «القراءة بفتح السّين أقيس، لأن الماضي إذا كان على «فَعِلَ» نحو حَسِبَ كان المضارع على يَفْعَلُ، مثل فَرِقَ يَفْرَقُ، وشَرِبَ يَشْرَبُ..»[2]. وأما قراءة الكسر فلمجيء السماع بها في مضارع بعض فَعِلَ حدده بعضهم بأربعة أفعال هي: يحسب وينعم ويبئس ويبس[3]، بالإضافة إلى مضارع أفعال أخرى مثل: يرث بحذف فاء الفعل إذ أن ماضيه على وزن فَعِلَ بكسر العين، والقياس يقتضي أن تكون عينه مفتوحة في المضارع إلا أنه سُمِعَ بكسرها.

– أن القراءة بفتح الحاء من الحرف رقم ٥ (حج) هي قراءة قياسية أيضا، وذلك مذهب سيبويه فهو يرى أن مصدر الفعل الذي وزنه فَعَلَ يَفْعُلُ يكون على وزن فَعْل إذا كان فعله متعديا كخَلَقَ يَخْلُقُ خَلْقًا، ودَقَّ يَدُقُّ دَقًّا[4]. أما مصدر اللازم منه فالغالب فيه أن يكون على وزن فُعُول[5]. وأما مجيء مصدر فَعَلَ يَفْعُلُ المتعدّي على وزن فِعْل بكسر الفاء فسماعي؛ قال سيبويه: «وقالوا: حَجَّ حِجًّا كما قالوا: ذَكَرَ ذِكْرًا»[6].

– أن القراءة بفتح الراء وكسرها من الحرف رقم ٦ (حرجا) اعتبرها الفراء مقيسة على غيرها مما هو جار بين الفتح والكسر من ألفاظ العرب؛ قال: «وهو في كسره وفتحه بمنزلة الوَحَدِ والوَحِدِ، والفَرَدِ[7] والفَرِدِ، والدَّنَفِ[8] والدَّنِفِ، تقوله العرب في معنى واحد»[9].

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص١٠٣ .
(٢) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٣٠١ .
(٣) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٠٣ .
(٤) انظر: كتاب سيبويه: ٤/ ٥ .
(٥) انظر: كتاب سيبويه: ٤/ ٩ .
(٦) كتاب سيبويه: ٤/ ١٠ .
(٧) في لسان العرب (مادة: فرد): الفارِدُ والفَرَد: الثور.
(٨) في لسان العرب (مادة: دنف): الدنف: المرض الملازم، ورجل دَنَفٌ ودَنِفٌ: لازمه المرض حتى أشفى على الموت.
(٩) معاني القرآن: ١/ ٣٥٣، ٣٥٤ .

– أن القراءة بفتح النون من الحرف رقم ١٢ (يقنط) علتها أن أصحاب هذه القراءة ذهبوا إلى أن ماضي « يقنط » هو قَنِطَ على وزن فَعِلَ بكسر العين، وعليه تكون قراءة الفتح قياسية، كما تكون قراءة الكسر قياسية كذلك لأن أصحابها ذهبوا إلى أن الأصل هو « قَنَطَ » بفتح النون على وزن « فَعَلَ »، وهذا الوزنُ القياسُ في مضارعه أن يكون على وزن « يَفْعُلُ » أو « يَفْعِلُ »(١). وفي لسان العرب: « قَنَطَ يَقْنِطُ ويَقْنُطُ قُنُوطًا مثل: جَلَسَ يَجْلِسُ، وقَنِط قَنَطًا »(٢).

– أن قراءة فتح الخاء وكسرها من الحرف رقم ١٥ (خطأ) محمولة على بعض مصادر الثلاثي التي سمعت بفتح الفاء وكسرها، مثل: حِذْرٌ، وحَذَرٌ، ونِجْسٌ ونَجَسٌ، وإِثْرٌ وأَثَرٌ(٣). وقيل: إن « خَطَأً » – بفتح الخاء – مصدر قياسي، و« خِطأ » بكسر الخاء مصدر سماعي(٤).

– أما فتح الفاء من الحرف رقم ١٤ (أفّ) وهي قراءة ابن كثير وابن عامر فمقيسة على ما ضُمّ أوله من الأفعال عند الأمر بها وادغام العين في اللام، مثل: غُضَّ ومُدَّ(٥). وقيل: إنما فُتحت الفاء لشبه « أفّ » بحروف المعاني الثلاثية فأغلبها مبني على الفتح مثل: رُبَّ ولَيْتَ وإِنَّ(٦). وأما قراءة الكسر دون تنوين فمقيسة على ما بُنِيَ من المعارف على كسر مثل: سيبويه، وعليه يكون معنى (فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ (: فلا تقل لهما القبيح، بالألف واللام. وأما قراءة « أُفٍّ » بتنوين الكسر فمقيسة على ما بُنِيَ من النكرات على كسر، أي أنك إذا قلت: أُفٍّ، فأنت تتأفف من أي فعل قبيح، وليس من قُبْحٍ محدّد(٧).

---

(١) انظر: كتاب سيبويه: ٤ / ٥ .
(٢) لسان العرب: ٥ / ٣٧٥٢، مادة: قنط.
(٣) معاني القرآن: ٢ / ١٢٣ .
(٤) انظر: طلائع البشر: ص١٣٩ .
(٥) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص٢١٥ وإعراب القراءات: ١ / ٣٦٧ ومعاني القراءات: ٢ / ٩١ .
(٦) انظر: إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه القراءات: ٢ / ٩٠ .
(٧) انظر: إعراب القراءات: ١ / ٣٦٧ .

جـ - **أصلية الفتح والكسر**: ذلك أن بعض القراءات مما اختلف فيه بين الفتح والكسر فُسّرت بأنها ما كانت لتكون كذلك إلا لأن الفتح أو الكسر هو الأصل فيها، من ذلك:

- أن القراءة بفتح النون في الحرف رقم ٣ (نعمّا) وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي قد فُسّرت على هذا الأساس، أي أن فعل المدح نِعْمَ الأصل فيه أن يقال: نَعِمَ بفتح النون وكسر العين على وزن فَعِلَ، وكذلك فعل الذم بِئْسَ فالأصل فيه بَئِسَ بفتح الأول وكسر الثاني؛ قال ابن خالويه في هذا الحرف: «والحجة لمن فتح النون وكسر العين أنه أتى بلفظ الكلمة على الأصل لأن أصلهما: نَعِمَ وبَئِسَ»[١]. وقد ذهب الفارسي إلى ذلك أيضا[٢].

- أن القراءة بكسر الفاء دون تنوين في الحرف رقم ١٤ (أُفٍّ) وهي قراءة أبي عمرو والكوفيين قد فسّرها بعضهم على هذا الأساس أيضا، ذلك أن الأصل عند التقاء ساكنيْن أن يُكسر أحدهما فتقول مثلا: نجحتِ البنتُ، ولم تنجح البنتُ، فتكسر تاء «نجحت» وحاء «تنجح» لأجل السكون الذي والاهما، وكذلك الفاء من «أفّ» التي هي عبارة عن مثليْن أُدغم أولهما في الثاني، الأول ساكن والثاني ساكن أيضا حُرّك لأجل الإدغام فكانت حركته هي الكسرة حسب الأصل، قال العكبري: «فمن كسر بناه على الأصل»[٣]. وقال ابن خالويه: «والحجة لمن كسر ولم ينوّن أنه أراد إسكان الفاء [الثانية][٤] فكسر لا لتقاء السّاكنيْن»[٥].

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص١٠٢ .
(٢) انظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٢٩٨ .
(٣) إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه القراءات: ٢/٩٠ .
(٤) إضافة لا بد منها لأن الفاء الأولى من المدغم ساكنة.
(٥) الحجة في القراءات السبع: ص٢١٥ .

المبحث الثالث : بين الضم والكسر

أولا : المختلف فيه بين الضم والكسر

اختلف القراء بين الضم والكسر في سبعة عشر (١٧) حرفا وردت في النصف الأول من القرآن الكريم، منها حرفان مكرران، وكلها قرئ بها في الصحاح، وهذا بيان بذلك.

جدول رقم : (٨)

الرقم التسلسلي	الحرف المختلف فيه	من قوله تعالى	السورة ورقم الآية	بالضم/ بالكسر	المقـــرئ
١	فَمَنُ	فَـمَنِ اضْطُرَّ غَـيْـرَ بَاغٍ وَلاَعَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ	البقرة ١٧٣	بضم النون	ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي
				بكسر النون	أبو عمرو وعاصم وحمزة
٢	البُيُوتَ	وَلَيْسَ البِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا	البقرة ١٨٩	بضم الباء	أبو عـمـرو (واخـتـلف عن نافع وعاصم وحمزة)(١)
				بكسر الباء	ابن كثير وابن عامر والكسائي
٣	رضوان	لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِم جَنَّاتٌ تَجْـرِي مِنْ تَحْـتِـهـا الأَنْهَـارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ من الله	آل عمران ١٥	بضم الرّاء	عاصم (رواية شعبة)
				بكسر الرّاء	السّبعة

(١) راجع: السبعة في القراءات، ص١٧٨ ، ١٧٩ .

٤	إصْري	قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا	آل عمران ٨١	بضم الهمزة	عاصم (رواية شعبة)
				بكسر الهمزة	السّبعة
٥	مُتُّمْ	وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ	آل عمران ١٥٧	بضم الميم	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم (رواية شعبة)
				بكسر الميم	نافع وحمزة والكسائي وعاصم (رواية حفص)
٦	فَلأُمِّهِ	فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ	النساء١١	بضم الهمزة	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم
				بكسر الهمز	حمزة والكسائي
٧	أَنْ . . أَوْ	وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ	النساء٦٦	بضم النون والواو	ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي
				بكسر النون وضم الواو	أبو عمرو
				بكسر النون والواو	عاصم وحمزة
٨	خُفْيَةً	تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ـ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً	الأنعام٦٣ الأعراف ٥٥	بضم الخاء	السّبعة
				بكسر الخاء	عاصم (رواية شعبة)
٩	يَعْرِشُونَ	وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ـ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ	الأعراف ١٣٧	بضم الراء	ابن عامر وعاصم (رواية شعبة)
			النحل٦٨	كسر الراء	بقية السبعة

١٠	يَعْكُفُونَ	وَجَاوَزْنَا بِبَني إِسْرَائِيلَ البَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ	الأعراف ١٣٨	بضم الكاف	حمزة والكسائي
				بكسر الكاف	بقية السبعة
١١	حُلِيِّهِمْ	وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ	الأعراف ١٣٨	بضم الحاء	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر
				بكسر الحاء	حمزة والكسائي
١٢	بِالعُدْوَةِ	إِذْ أَنْتُمْ بِالعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالعُدْوَةِ القُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ	الأنفال ٤٢	بضم العين	نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي
				بكسر العين	ابن كثير وأبو عمرو
١٣	يَلْمِزُكَ	وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ	التوبة ٥٨	بضم الميم	ابن كثير
				بكسر الميم	بقية السبعة
١٤	يَعْزُبُ	وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ	يونس ٦١	بضم الزاي	السبعة عدا الكسائي
				بكسر الزاي	الكسائي
١٥	بِالقِسْطَاسِ	وَأَوْفُوا الكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ	الإسراء ٣٥	بضم القاف	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم (رواية شعبة)
				بكسر القاف	حمزة والكسائي وعاصم (رواية حفص)
١٦	قُل.. أَوْ	قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ	الإسراء ١١٠	بضم اللام والواو	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي
				بضم اللام والواو	عاصم وحمزة

١٧	قُبلاً	وَلوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الملائكَةَ وكَلَّمَهُمُ الموْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إلاَّ أنْ يَشَاء الله - * قُبُلاً	الأنعام ١١١	بضم القاف والباء	عاصم وحمزة والكسائي
			الكهف ٥٥	بكسر القاف وفتح الباء	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر

يمكننا أن نسجل الملاحظات الآتية حول هذا الجدول:

١ - إن المختلف فيه بين الضم والكسر من الأحرف المبيّنة سابقا (جدول ٨) يمكن تصنيفها في ثلاثة أصناف هي:

أ - **أسماء**: ممثلة في الأحرف ذوات الأرقام: ١، ٢، ٣، ٤، ٦، ٨، ١١، ١٢، ١٥، ١٧

ب - **أفعال**: ممثلة في الأحرف ذوات الأرقام: ٥، ٩، ١٠، ١٣، ١٤، ١٦ .

جـ - **حروف معان**: ممثلة في الحرفيْن رقم ٧ (أن ، أو) ورقم ١٦ (أو).

وهذا يعني أن نسبة الأسماء المختلف في بعض حروفها بين الضم والكسر قد فاقت نسبتي الأفعال والحروف معا، حيث بلغت ضعف نسبة الأفعال المختلف فيها تقريبا.

٢ - بلغ عدد الأحرف المختلف في أوّلها بين الضم والكسر عشرة أحرف هي الحاملة للأرقام: ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٨، ١١، ١٢، ١٥، ١٧ . وبقية الأحرف اختلف في ثانيها، وهي الحاملة للأرقام: ١، ٧، ٩، ١٠، ١٣، ١٤، ١٦ .

وهذا يعني أن نسبة المختلف في أوله بين الضم والكسر أعلى بكثير من نسبة المختلف في ثانيه، حيث بلغت نسبة الأول ٥٩٪ تقريبا، وبلغت نسبة الثاني ٤١٪ تقريبا.

٣ – مذاهب القراء السبعة في الضم والكسر لاتكاد تتحدد، كل واحد منهم كان له في اختيار الضم نصيب وله في اختيار الكسر نصيب آخر. وهذا بيان ذلك في الأحرف المذكورة:

جدول رقم : (٩)

المقرئ	عدد المرات التي ضم فيها	عدد المرات التي كسر فيها	نسبة الضم عنده	نسبة الكسر عنده	ملاحظات
ابن كثير	١٠	٧	٪٥٨,٨٢	٪٤١,١٨	–
نافع	٩	٧	٪٥٥,٨٨	٤٤,١٢	اختلف عنه في الحرف رقم ٢
أبو عمرو	٨	٨	٪٥٠	٪٥٠	عدل في رقم ٧ (أن..أو) فكسر النون وضم الواو
ابن عامر	١١	٦	٪٦٤,٧٠	٪٣٥,٣٠	–
عاصم	٦	٤	٪٥٥,٨٨	٪٤٤,١٢	اختلف عنه في سبعة أحرف(١)
حمزة	٥	١١	٪٣٢,٣٥	٪٦٧,٦٥	اختلف عنه في الحرف رقم ٢
الكسائي	٧	١٠	٪٤١,١٨	٪٥٨,٨٢	–

(١) هي الأحرف ذوات الأرقام: ٢، ٣، ٤، ٥، ٨، ٩، ١٥، فانظرها في الجدول رقم ٨ .

وهذا يعني أن ابن عامر أكثرهم ضما في القراءة، يليه ابن كثير ثم نافع وعاصم ثم أبوعمرو ثم الكسائي ثم حمزة، وبناء على ذلك يكون حمزة أكثرهم كسرا يليه الكسائي ثم نافع وعاصم ثم أبوعمرو ثم ابن كثير، وأقلهم كسرا ابن عامر.

ثانيا : علل المختلف فيه بين الضم والكسر

إن محاولتنا التعليل لظاهرتيْ الضم والكسر في الأحرف المذكورة، على ضوء المعطيات المتوفرة التي ذكرناها للتوّ لا تمكننا من أن ننسب الضم إلى بيئة أو قبيلة والكسر إلى بيئة أو قبيلة أخرى؛ ذلك أن مذاهب القراء في الضم والكسر شتى، ولا يمكن أن يكون ذلك الاختلاف الصغير بين نسبتي الضم والكسر عند المقرئ الواحد دليلا حاسمًا في تحديد أصحاب الضم وتحديد أصحاب الكسر من العرب. بل إننا نجد حمزة والكسائي إمَامَيْ أهل الكوفة – مسكن المهاجرين من بدو شرق شبه الجزيرة العربية وشمالها – يغلب عندهما الكسر، وهو أمر لا يتماشى مع ما عُرف من غلبة الضم عند تلك القبائل المهاجرة إلى الكوفة[1]. وبالعكس نجد إمَامَيْ الحرميْن مكة والمدينة وهما ابن كثير ونافع يغلب عندهما الضم على الكسر، وهو أمر لا يتماشى كذلك مع ما عُرف من غلبة الكسر عند أهل الحضر[2].

إن هذه المعطيات تجعلنا نقطع أن ليس الضم ولا الكسر في القراءات السبعة الصحيحة إلا اختياراً لدى المقرئ، كانت وراءه أسباب أخرى على رأسها الأثر الذي تركه مقرئو المصاحف العثمانية المرسل بهم إلى الأمصار المختلفة. ومع ذلك فإننا لا يمكننا أن ننفي الأثر البيئي المتمثل في لهجات القبائل العربية، وهو ما أكدنا عليه في المبحث الثاني من هذا الفصل. وعليه يمكن حصر علل المختلف فيه بين الضم والكسر فيما يأتي:

١ – الانسجام الصوتي : وذلك في جميع الأحرف المذكورة؛ حيث إن قراءة

---

(١) راجع: في اللهجات العربية: ص٩٣ . (٢) المرجع السابق: ص٩١ .

الضم فيها تلائم ضمة أو واواً سابقة أو لاحقة، وقراءة الكسر فيها تلائم كسرة أو ياءً سابقة أو لاحقة كذلك، وهذا بيان ذلك:

أ - **قراءة الضم** : من ذلك ما لاءم ضما مثله ومنه ما لاءم واوا.

فأما الذي لاءم ضمًّا مثله فكلّه كان متقدما وهو ممثل في الأحرف الآتية:

- **الحرف رقم ١** المتمثل في «فَمَنُ» من قوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ**﴾، ضُمت النون فيه لتلائم ضم الطاء بعدها حيث أنّ الفاصل - وهو الضاد - غير حصين لسكونه؛ قال ابن خالويه في مَنْ ضم ذلك إنه «كره الخروج من كسر إلى ضم فأتبع الضمَّ الضمَّ ليأتي باللفظ من موضع واحد»[1].

- **الحرف رقم ٧** المتمثل في «أنُ.. أوُ» من قوله تعالى: ﴿**أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا**﴾، ضَمُّ النون من «أن» والواو من «أو» إنما كان لأجل ضم التاء والراء من الفعليْن المذكورين، وذلك أيسر على اللسان، والفاصل غير حصين لسكونه.

- **الحرف رقم ٩** المتمثل في ﴿**يَعْرِشُونَ**﴾ ضُمّت الراء منه لتلائم ضمّ الشين بعدها.

- كذلك **الحرف رقم ١٠** المتمثل في ﴿**يَعْكُفُونَ**﴾ القراءة بضم الكاف منه كانت لأجل ضم الفاء بعدها.

- كذلك **الحرف رقم ١٣** المتمثل في ﴿**يَلْمِزُكَ**﴾ ضُمّت الميم منه في قراءة ابن كثير لتلائم ضمة الزاي التي بعدها.

- كذلك الحال بالنسبة **للحرف رقم ١٤** المتمثل في ﴿**يَعْزُبُ**﴾ إنما ضُمّت الزاي منه لتلائم ضم الباء بعدها.

- وضُمّت اللام من «قل» والواو من «أو» في الحرف **رقم ١٦** من قوله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ**﴾ من أجل أنْ يُلائما ضم عين الفعل «ادعوا» المفصولة عنهما بفاصل غير حصين لسكونه.

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص٩٢.

- وضُمّت القاف من **الحرف رقم ١٧** المتمثل في «قُبُلاً» من قوله تعالى ﴿أَوْيَأْتِيكُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً﴾ لضم الباء بعدها من الكلمة نفسها، وكذا لضم باء «العذاب» قبلها. ومعنى ﴿يَأْتِيكُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً﴾ أي: عيانا أو مقابلة يرونه[1].

وأما الضمّ الذي لاءم واواً لأنهما من جنس واحد فممثل في الأحرف الآتية:

- **الحرف رقم ٢** المتمثل في ﴿الْبُيُوتِ﴾ ضُمّت الباء فيه لتلائم ضمة الياء بعدها. ومعلوم أن ذلك يتماشى مع القياس في جمع «فَعْل» الذي عينه ياء.

- **والحرف رقم ٣** المتمثل في ﴿رِضْوَانَ﴾ ضُمّت الراء منه لتلائم الواو التي بعدها المفصولة عنها بفاصل غير حصين وهو الضاد السّاكنة.

- **كذلك الحرف رقم ٥** المتمثل في «مُتُّمْ» من قوله تعالى ﴿أَوْمُتُّمْ﴾ ضُمّت الميم الأولى منه لتجانس الواو السابقة فيسهل النطق بالكلمة.

- والأمر نفسه **في الحرف رقم ٨** المتمثل في «خُفْية» من قوله تعالى ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ حيث ضمت الخاء فيه في قراءة السبعة لتلائم الواو السابقة عليها.

- وضمت العين من **الحرف رقم ١٢** ﴿بالعُدْوَة﴾ لأجل الواو التي بعدها المفصولة عنها بفاصل غير حصين هو الدال.

وربما لاءم الضم الاستعلاء الذي توصف به بعض الحروف فقرأ بعضهم به لأجل ذلك في الحرفين رقم ٤ (إصري) ورقم ١٥ (بالقسطاس) فإن الصاد والقاف من حروف الاستعلاء والضم أنسب له لما بينهما من تفخيم.

ب - قراءة الكسر : من ذلك ما لاءم كسرا مثله، ومنه ما لاءم ياء من جنسه.

فأما الذي لاءم كسرا مثله فمنه ما تقدمه كسر ومنه ما تأخر عنه.

فأما ما تقدمه كسر فقُرئ بكسره لأجل ذلك عند بعضهم فيتمثل في ثلاثة أحرف هي:

---

(١) انظر: الكشف عن وجوه القراءات: ٢/ ٦٤ ومعاني القرآن: ٢/ ١٤٧.

- **الحرف رقم ٦** المتمثل في «فلأمه»، قرأه حمزة والكسائي بكسر الهمزة ليلائم ذلك كسر لام الجرّ؛ قال ابن خالويه: «فمن كسرها فلكسرة اللام قبلها لئلا يخرج من كسر إلى ضمّ»[١]. ولاشك أن انكسار الميم بعد الهمزة قد ساعد في انسجام كسر الهمزة مع ما قبلها وما بعدها.

- **والحرف رقم ١٢** ﴿ **بالعُدْوَة** ﴾ قرأه ابن كثير وأبوعمرو بكسر العين حتى تتلاءم مع كسر باء الجرّ قبلها دون اعتبار للفاصل - وهو لام التعريف - لسكونه.

- **والحرف رقم ١٥** ﴿ **بِالْقِسْطَاسِ** ﴾ قرأه أئمة الكوفة بكسر القاف لانكسار باء الجرّ قبلها وعدم اعتبار الفاصل لسكونه كما في ﴿ **بالعُدْوَة** ﴾.

وأما ما تأخر عنه كسر فقُرئ بكسره لأجل ذلك فحرف واحد، وهو **الحرف رقم ١١** ﴿ **حِلِيّهِمْ** ﴾، قرأه حمزة والكسائي بكسر الحاء لانكسار اللام بعدها، وهو أيسر على النطق من قراءة الضم.

وأما مالاءم ياء فقرئ بكسره لأجل ذلك فبعضه تقدمت عليه الياء وبعضه تأخرت عنه.

فأما الذي تقدمته الياء فأربعة أحرف أوّلها ياء مضارعة هي: الحرف رقم ٩ ﴿ **يَعْرِشُونَ** ﴾، والحرف رقم ١٠ ﴿ **يَعْكُفُونَ** ﴾، والحرف رقم ١٣ ﴿ **يَلْمِزُكَ** ﴾، والحرف رقم ١٤ ﴿ **يَعْزُبُ** ﴾ فالأرجح أن يكون كسر عين الوزن في هذه الأحرف الأربعة أكثر ملاءمة لياء المضارعة المتقدمة والمفصولة بفاصل ساكن غير حصين، وإن كانت الياء في هذه الأحرف زائدة ليست أصلا في الكلمة.

وأما الذي تأخرت عنه الياء فكسر لأجلها فحرفان هما:

- **الحرف رقم ٢** ﴿ **الْبُيُوتِ** ﴾، فإن القراءة بكسر الباء تلائم الياء التي بعدها؛ قال ابن خالويه: «والحجة لمن كسر أنه لمّا كان ثاني الكلمة ياء كرهوا الخروج من ضم

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص١٢٠ وانظر: معاني القراءات ١/ ٢٩٤.

إلى ياء فكسروا أوّل الاسم لمجاورة الياء»[1]. ويبدو أن كسر فاء «فعول» للجمع يكثر عند العرب كلما كانت عين الكلمة ياء مثل: شيوخ وجيوب وعيون. فتكسر الفاء «لأن الكسرة للياء أشدّ موافقة من الضمة لها»[2].

- **الحرف رقم ٨ ﴿خُفْيَةً﴾**، كَسَرَ أوله عاصم فيما رواه عنه أبوبكر شعبة فلاءم الياء الواقعة لاما للكلمة المفصولة بساكن غير حصين هو عين الكلمة.

٢ - **اعتبار الضم والكسر من لغات العرب الفصيحة** : وذلك علة يعوّل عليها بعض العلماء أو الدارسين فينسبون ما قرئ بالضم إلى أهل البوادي العربية، وينسبون ما قرئ بالكسر إلى أهل الحضر، وذلك أمر نحتاط من تعميمه لما ذكرناه آنفا من اختلاط الألسنة.

وقد عوّل بعض القدماء على هذه العلة، من ذلك أن ابن خالويه ذهب عند حديثه عن الحرف رقم ٣ (رضوان) إلى أن من يقرأ كلمة في موضع من القرآن بضم ويقرأ الكلمة نفسها في موضع آخر بكسر إنما يفعل ذلك باللغتين ليُعلمك جوازهما[3]. كما ذهب إلى أن ضم الخاء وكسرها من الحرف رقم ٨ (خفية) «هما لغتان فصيحتان»[4]. وعنه أن القراءة بضم القاف من الحرف رقم ١٥ (بالقسطاس) هي لغة أهل الحجاز[5]، وعليه تكون قراءة الكسر في هذا الحرف لغير أهل الحجاز، ويبدو أنها هي الغالبة الآن في الاستعمال. والقسطاس كلمة رومية الأصل تعني الميزان. ومعلوم أن العرب تذهب في الكلمات الدخيلة مذاهب شتى.

ومن ذلك أن الفراء ذهب إلى أن الضم والكسر في الحرف رقم ٨ (خفية) لغتان بالإضافة إلى لغة ثالثة بالواو بدل الياء (خفوة)[6].

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص٩٣.
(٢) الحجة في علل القراءات السبع ٢/٢١٥ وانظر: معاني القراءات ١/١٩٥.
(٣) الحجة في القراءات السبع: ص١٠٦. (٤) المرجع السابق: ص١٤١.
(٥) راجع: المرجع السابق: ص٢١٧ وانظر: إعراب القراءات ١/٣٧٣ ومعاني القراءات ٢/٩٤.
(٦) انظر: معاني القرآن: ١/٣٣٨.

ومن ذلك ما ذكره أبو علي الفارسي بخصوص الحرف رقم ٤ أنّه «يُشَبَّهُ أن يكون الضم في الأُصْر لغة في الإصْر»[١]. وذلك ما أجازه الزمخشري[٢].

ومنه ما ورد في «لسان العرب» بخصوص الحرف رقم ٥ منسوبا لابن سيده الأندلسي أن «مِتَّ» – بكسر الميم – تموت لغة لا نظير لها من المعتل، وقال كراع إن نظيره: دِمْتَ تدوم[٣].

كذلك الحروف رقم ٩ (يعرشون) ورقم ١٠ (يعكفون) ورقم ١٤ (يعزب)، ذهب كثير من الدارسين إلى أن الضم والكسر فيها لغتان فصيحتان[٤]. الكسر لأهل الحجاز والضم لغيرهم[٥].

ومنه أن الضم والكسر في **الحرف رقم ١٢** (بالعدوة) عند بعضهم «هما لغتان لأهل الحجاز»[٦] وقد ذكر ابن جني لغة ثالثة هي «العَدْوَة» بفتح العين قرئ بها في الشواذ[٧]. وذكر الزمخشري لغة رابعة هي «العِدْيَة» بقلب الواو ياء حتى تلائم كسرة العين[٨].

٣ – اعتبار إحدى القراءتين أصلا والأخرى فرعًا : أي أن إحداهما قياسية والأخرى مسموعة، وهي علة عوّل عليها بعض اللغويين أو الدارسين، من ذلك:

– أن **الحرف رقم ١** (فمن) **والحرف رقم ٧** (أن.. أو) **والحرف رقم ١٦** (قل.. أو) قد اعتُبِر الكسرُ فيها هو الأصل لا لتقاء ساكنيْن، والضم فرع عليه[٩]. ومعلوم أنّ العرب تحرّك أول الساكنين عند التقائهما فتختار لذلك الكسرة، ولكنها قد

---

(١) الحجة في علل القراءات السبع: ٢ / ٣٨٠ . والإصر والأصر: هو العهد.
(٢) انظر: الكشاف: ١ / ٣٨٠ . (٣) انظر: لسان العرب: ٦ / ٤٢٩٥، مادة: موت.
(٤) انظر: طلائع البشر، ص٩٩، ١١٧ .
(٥) انظر: من لغات العرب: لغة هذيل، ص٤٤، ٤٦ .
(٦) طلائع البشر: ص١٠٦ . (٧) انظر: المحتسب: ١ / ٢٨٠ .
(٨) انظر: الكشاف: ٢ / ٢٢٣ .
(٩) انظر: السبعة في القراءات: ص١٧٥ والحجة في القراءات السبع، ص٩٢ والكشاف، ١ / ٢٧٤ .

تجيء بحركة الفتحة أو الضمة لعلة تَجِدُّ تكون في كثير من الأحيان هي العمل على تحقيق الانسجام الصوتي فُتتْبِعُ الفَتْحَ الفَتْحَ والضمَّ الضمَّ.

- **أن الحرفين رقم ٤ (إصري) ورقم ١٢ ﴿بالعُدْوَة﴾** قد اعتبر كسر الهمزة في الأول وكسر العين في الثاني أصلا لكون القراءة به هي الشائعة الغالبة، وفي لسان العرب: الإصر بكسر الهمزة، وليس فيه أُصرٌ بضم الهمزة[١]. وقد ذهب بعضهم إلى حد إنكار لغة الضم في «عدوة»[٢].

ومما ذهبوا فيه إلى اعتبار الضم هو الأصل أو القياس، واعتبار الكسر هو الفرع أو السماع:

- **أن الحرفين رقم ٣ ﴿رِضْوَانَ﴾ ورقم ٨ ﴿خُفْيَةً﴾**، اعْتُبِرَتْ القراءةُ بضم أوّل المصدريْن هي الأصل الغالب؛ قال ابن خالويه بخصوص الأول: «إن الضم في المصادر مع زيادة الألف والنون أكثر وأشهر»[٣]. وقال الأزهري بخصوص الثاني: إن قراءة الضم في «خفية» هي أجود من غيرها[٤].

ومعلوم أن مصادر الثلاثي سماعية لا تنضبط لقياس، ومنها أن المصدر المزيد بألف ونون جاء بعضه على فُعْلان بضم الفاء مثل غُفْران، وجاء بعضه على فِعْلان بكسر الفاء مثل عِرْفان، وهو مانص عليه سيبويه صراحة[٥]. وكذلك المصدر من فَعِلَ يَفْعَلُ قد جاء منه فِعْلَة لغير الهيئة مثل هبة بحذف الفاء، وجاء منه فُعْلَة كذلك مثل خُضْرَة.

كذلك الأحرف الحاملة للأرقام: ٩، ١٠، ١٣، ١٤، المتمثلة على التوالي في الأفعال: يعرشون ويعكفون ويلمزك ويعزب، قُرئت كلها بضم عين الوزن أو الكلمة وبكسرها على اعتبار أن كلا من الضم والكسر أصل فيها لأن القياس في مضارع الماضي الذي وزنه فَعَلَ بفتح العين هو يَفْعِلُ ويَفْعُلُ بكسرها وضمها[٦].

---

(١) انظر: لسان العرب ١/٨٦، مادة: أصر. (٢) انظر: طلائع البشر: ص١٠٦.
(٣) الحجة في القراءات السبع: ص١٠٦. (٤) معاني القراءات: ١/٣٦٢.
(٥) انظر: كتاب سيبويه: ٤/٨. (٦) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٦٢.

المبحث الرابع : بين الفتح والإسكان والكسر والإسكان[1]

أولا : بين الفتح والإسكان

١ - المختلف فيه بين الفتح والإسكان :

اختلف في ثمانية أحرف بين الفتح والإسكان من النصف الأول من القرآن الكريم، هذا بيانها :

جدول رقم : (١٠)

الرقم التسلسلي	الحرف المختلف فيه	من قوله تعالى	السورة ورقم الآية	بالفتح / بالإسكان	المقرئ
١	قدره	عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ	البقرة ٢٣٦	بفتح الدال	ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم (رواية حفص)
				بإسكان الدال	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم (رواية شعبة)
٢	الدرك	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ	النساء ١٤٥	بفتح الراء	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر
				بإسكان الراء	عاصم وحمزة والكسائي
٣	المعز	ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ	الأنعام ١٤٣	بفتح العين	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر
				بإسكان العين	نافع وعاصم وحمزة والكسائي
٤	الرشد	وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَيَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً	الأعراف ١٤٦	بفتح الشين	حمزة والكسائي
				بإسكان الشين	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم

(١) جمعنا في هذا المبحث بين الفتح والإسكان، والكسر والإسكان من باب العمل على توازن المباحث.

٥	دأبًا	قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا	يوسف ٤٧	بفتح الهمزة	عاصم (رواية حفص)
				بإسكان الهمزة	السبعة
٦	ظعنكم	وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ	النحل ٨٠	بفتح العين	ابن كثير ونافع وأبو عمرو
				بإسكان العين	ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
٧	خطأً	إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خَطَأً كَبِيرًا	الإسراء ٣١	بفتح الطاء	ابن عامر
				بإسكان الطاء وكسر الخاء	نافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي (١)
٨	كسفا	أَوْتُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا	الإسراء ٩٢	بفتح السين	نافع وعاصم
				بإسكان السين	بقية السبعة

يمكن من خلال ملاحظة هذا الجدول أن نسجل شيئين اثنين:

١ – أن الأحرف المختلف فيها بين الفتح والإسكان كلّها أسماء ثلاثية بصيغة المصدر، اختلف في الأوسط منها جميعا، أي في عين الكلمة، ولم يُختلف في غير ذلك لوجوب تحرك الأول وكون الثالث موضع إعراب.

٢ – المقرئون الكوفيون الثلاثة (عاصم وحمزة والكسائي) أكثر ميلا إلى الإسكان وأقل ميلا إلى الفتح، فقد بلغت نسبة الإسكان عند كل منهم ٧٥٪، ونسبة الفتح ٢٥٪ فقط.

(١) قرأ ابن كثير هذا الحرف «خِطَاءً» ممدودة.

وبلغت نسبة الإسكان عند كل من نافع وأبي عمرو ٦٢,٥٪، ونسبة الفتح ٣٧,٥٪. وتساوت نسبة الإسكان ونسبة الفتح عند كل من ابن كثير وابن عامر (٥٠٪).

٢ - علل المختلف فيه بين الفتح والإسكان :

إذا بحثنا عما نعلل به لظاهرتيْ الفتح والإسكان في هذه الأحرف المختلف فيها، وبناء على المعطيَيْن السابقيْن، فلا بد أن نعود بالضرورة إلى أمر اللهجات العربية التي بنى عليها المقرئون، ولابد أن نقرّ أيضا بأن القراءة بالإسكان معناها سلب لحركة واختصار في كلمة مما ينتج عنه التخفيف وقلة الجهد في النطق.

إن الفتح مع الإقرار بخفته وغلبته في اللسان العربي على بقية الحركات ينفر الذوق اللغوي لدى بعض العرب من توالي أمثاله فيهرب منه كما يهرب من توالي الضم وتوالي الكسر.

ولا شك أن الذين يميلون من العرب إلى عدم الجمع بين الفتحات هم الذين أخذ مقرئو الكوفة بلغتهم في الغالب، وهم أهل نجد من تميم[١] وغيرهم من عرب شرقي الجزيرة العربية وشمالها الذين نزحوا إلى جنوب العراق واستقر كثير منهم في الكوفة. وأهل الحجاز كانوا يميلون إلى الفتح[٢]، وبلغتهم أخذ من قرأ بالفتح من المقرئين.

ويبدو أن بني عقيل كانوا يميلون إلى فتح حروف الحلق الواقعة عينا في الأسماء إذا كانت مسبوقة بفتح، وذلك ما نصّ عليه ابن جني أثناء تعليقه على قراءة ﴿جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] و﴿زَهْرَةَ﴾ [طه: ١٣١] بفتح الهاء وما قبلها، فقال: «مذهب أصحابنا في كل شيء من هذا النّحْوِ مما فيه حرف حلقي ساكن بعد حرف مفتوح: أنه لا يحرك إلا على لغة فيه، كالزهْرة والزهَرة، والنهْر والنهَر، والشّعْر والشَّعَر،

---

(١) انظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: ص٧٥ .
(٢) انظر: من لغات العرب: لغة هذيل، ص٣٠ .

فهذه لغات عندهم، كالنَّشْز والنَّشْز والحَلْب والحَلَبَ، والطَّرْد والطَّرَد. ومذهب الكوفيين فيه أنه يحرك الثاني لكونَه حرفا حلقيا فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعوه، كالبْحر والبحَر، والصّخْر والصّخَر[1].

وما أرى القول من بعد إلا معهم[2]، والحق فيه إلا في أيديهم. وذلك أنني سمعت عامة عقيل تقول ذاك ولا تقف فيه سائغًا غير مستكره»[3].

ويمكن أن نستخلص شيئيْن مهميْن من نصّ ابن جني السابق، هما:

أ – أن فتح الحروف الحلقية الواقعة عينا في الأسماء التي فاؤها مفتوحة هي لغة بني عقيل المنتسبين للحجازيين، وأن لغة الإسكان هي لغيرهم من عرب وسط شبه الجزيرة وشرقها.

ب – أن اللغويين البصريين – أصحاب ابن جني – يجعلون إسكان الحروف الحلقية الواقعة عينا في الأسماء التي فتحت فاؤها قياسًا، ويجعلون فتحها لغة (هي لبني عقيل) تحفظ ولا يقاس عليها، وذلك مذهب سيبويه الذي يعلل لفتح الحروف الحلقية بقوله: «وإنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف، فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيّزها وهو الألف، وإنما الحركات من الألف والياء والواو.

وكذلك حرّكوهنّ إذْ كُنَّ عينات، ولم يُفعل هذا بما هو من موضع الواو والياء لأنهما من الحروف التي ارتفعت، والحروف المرتفعة حيّز على حِدَة..»[4].

أما الكوفيون فيجيزون تحريك عين الاسم المسبوقة بفتح متى كانت حرف حلق، كما يجيزون إسكانها أيضا، فالفتح عندهم في ذلك قياس، والإسكان قياس كذلك.

---

(١) أورد ابن السكيت في «إصلاح المنطق». (ص١٧٢، ١٧٣) أمثلة مما – يجوز فيه فتح العين وإسكانها، فانظره هناك.

(٢) الضمير في «معهم» يعود على أصحاب ابن جني وهم البصريون.

(٣) المحتسب: ١/ ٨٤.

(٤) كتاب سيبويه: ٤/ ١٠١.

وإذا عدنا إلى أحرف الخلاف المذكورة (جدول رقم ١٠) وجدنا ضمنها ثلاثة أحرف أسماء يشملها الحكم السابق، فالحرف رقم ٣ (المعز)، والحرف رقم ٥ (دأبا)، والحرف رقم ٦ (ظعنكم) كلها أسماء عينها حرف حلقي مسبوق بفتح وكان فتح العين لأن ذلك لغة بني هذيل على رأي البصريين أو لأن ذلك قياس على رأي الكوفيّين. وكل ما كان من هذا بين الفتح والإسكان فهو عند ابن خالويه لغتان الأصل فيهما الإسكان والفتح جائز لمكان الحرف الحلقي[١]. وهو مذهب الفراء أيضا[٢]. أما الأزهري ومكي بن أبي طالب القيسي فإن لغة الإسكان عندهما مساوية للغة الفتح[٣]، وهو ما ذهب إليه عامة الكوفيين.

وقد ذهب بعض الدارسين المحدثين إلى أن تحريك الصوت الحلقي أخف من تسكينه لأن «كل أصوات الحلق بَعْدَ صدورها من مخرجها الحلقي تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم.. ولهذا ناسبها من أصوات اللّيْن أكثرها اتساعًا، وتلك هي الفتحة»[٤].

ويشير بعض الدارسين أيضا إلى أن هذا التحريك بالفتح في أصوات الحلق المسبوقة بفتح ربما يكون ميزة مشتركة بين اللغات السامية إذ أنه «واضح كل الوضوح في اللغة العبرية»[٥].

وأما إسكان العين، وهو اللغة المنسوبة لغير أهل الحجاز فلا يعدو إلا أن يكون في الحقيقة هروبا من توالي الحركات، أو هو هروب من المقاطع الصوتية المفتوحة إيثاراً للمقاطع الصوتية المغلقة أو الساكنة، وذلك منسوب إلى تميم[٦].

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٥٢، ١٩٥، ٢١٢، وانظر: إعراب القراءات ١/ ٣١٠، ٣٥٩.

(٢) انظر: معاني القرآن: ٢/ ٤٧.

(٣) انظر: معاني القراءات ١/ ٣٩٢، ٢/ ٨٢ والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١١، ٤٠.

(٤) في اللهجات العربية، ص١٧٠. (٥) اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص١٢١.

(٦) في اللهجات العربية، ص١٦١.

أما ما كان من الأحرف المذكورة وعينه ليست من ذوات الحلق، فيبدو تساوي الفتح فيها والإسكان لانتفاء القياس في مصادرها، إذ هي محكومة بالسماع، ومن ثَمّ وجدت أن معظم من علل لذلك لم يُرد أن يفاضل بين قراءتيْ الفتح والإسكان، من ذلك:

قال الفارسي في الحرف رقم ١: إن «القَدْرَ والقَدَرَ بمعنى»[١] أي بمعنى واحد، وهو مذهب الأزهري أيضا[٢]. وقال الزمخشري: «القَدْر والقَدَر لغتان»[٣].

وقال الأزهري في الحرف رقم ٢: «هما لغتان؛ الدَّرْكُ والدَّرَك، ومثلهما: ليلة النَّفْر والنَّفَر، ونَشْزٌ من الأرض ونَشَزٌ، وشَطْرٌ وشَطَرٌ»[٤]. كل ذلك جائز إسكان ثانيه وفتحه، وإن بدا إسكانه أكثر استعمالا لخفته.

وقيل في الحرف رقم ٤ (الرشد): إن فتح الراء والشين، وضم الراء وسكون الشين، إنهما «لغتان في الصلاح والدين»[٥] معناهما واحد[٦]. وقال الزمخشري: «وقرئ سبيل الرُّشْد والرَّشَد والرَّشَاد كقولهم: السُّقْمُ والسَّقَمُ والسَّقَامُ»[٧]. وفي لسان العرب: «رَشَدَ الإنسان يَرْشُدُ رُشْداً، بالضم، ورَشِدَ يَرْشَدُ رَشَداً ورَشَاداً»[٨]. وهو ما يعني أن الفتح والإسكان في «الرشد» تابعان لكسر الشين وفتحها في الفعل؛ فإذا قلنا: رَشِد – بكسْر الشين – كان المصدر رَشَداً، وإذا قلنا: رَشَدَ – بفتح الشين – كان المصدر رُشْداً.

وقال الفراء في فتح الطاء وإسكانها من الحرف رقم ٧ (خَطَأً): «وكلٌّ صواب»[٩]، فذلك عنده مثل: حِذْرٌ وحَذَرٌ، ونِجْسٌ ونَجَسٌ. ويبدو أن فتح الطاء وفتح الخاء قبلها هي اللغة الغالبة في الاستعمال لاجتماع الخاء والهمزة في كلمة واحدة وهما حرفان حلقيان وإن لم يكن أي منهما عينا لها.

---

(١) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٢٥٦.
(٢) انظر: معاني القراءات: ١/٢٠٨.
(٣) الكشاف: ١/٢٨٥.
(٤) معاني القراءات: ١/٣٢١.
(٥) طلائع البشر: ص١٠٠.
(٦) انظر: معاني القراءات: ١/٤٢٣.
(٧) الكشاف: ٢/١٥٩، وانظر: الحجة في القراءات السبع، ص١٦٤.
(٨) لسان العرب: ٣/١٦٤٩، مادة: رشد.
(٩) معاني القرآن: ٢/١٢٣.

وذهب الفراء كذلك إلى أن إسكان السّين وفتحها من الحرف رقم ٨ (كِسَفًا) لغتان بمعنى واحد، قال: «والكِسْفُ والكَسَفُ وجهان»[١]. وفي لسان العرب: «وكِسْفُ السَّحَابِ وكِسَفُهُ: قِطَعُهُ»[٢]، محمولة على معنى الجمع، وقد حملها بعضهم على معنى المفرد، أي على معنى إسقاط السماء قطعة واحدة أو إسقاطها قطعة بعد قطعة[٣].

ثانيا : بَيْن الكسر والإسكان

١ - المختلف فيه بين الكسر والإسكان :

اجتمع لدينا من ذلك في النصف الأوّل من القرآن الكريم أربعة (٤) أحرف فقط منها حرف مكرر هو «نعمّا»، وهذا توضيح لها في هذا الجدول:

جدول رقم : (١١)

الرقم التسلسلي	الحرف المختلف فيه	من قوله تعالى	السورة ورقم الآية	بالكسر / بالإسكان	المقرئ
١	نعمّا	إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ،	البقرة ٢٧١	بكسرالعين (وكسر النون)	ابن كثير ونافع (رواية ورْش) وعاصم (رواية حفص)
		إِنَّ الله نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ	النساء٥٨	بكسر العين (وفتح النون)	ابن عامر وحمزة والكسائي
				بإسكان العين[٤] (وكسرالنون)	أبو عمرو ونافع (رواية قالون) وعاصم (رواية شعبة)

(١) لسان العرب: ٥ / ٣٨٧٧، مادة: كسف. (٢) لسان العرب: ٥ / ٣٨٧٧، مادة: كسف.
(٣) انظر: معاني القراءات ٢ / ١٠١، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٥١ .
(٤) كذا في كتاب «السبعة» (ص١٩٠) والأصح أن يقال: باختلاس حركة العين حتى يكون لها وجه في العربية.

٢	رجلك	وَاجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ	الإسراء ٦٤	بكسرالجيم	عاصم (رواية حفص)
				بإسكان الجيم	السّبعة
٣	لدنه	لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ	الكهف٢	بكسر النون(١) (وكسر الهاء)	عاصم (رواية شعبة)
				بإسكان النون (وضم الهاء)	السّبعة
٤	بورقكم	فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ	الكهف ١٩	بكسرالراء	ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي وعاصم (رواية حفص)
				بإسكان الراء	أبو عمرو وحمزة وعاصم (رواية شعبة)

وأهم ما يمكن تسجيله من خلال نظرة في الجدول السابق:

١ – أن المختلف فيه بين الكسر والإسكان أقل مما سواه مما اختلف فيه بين حركة وحركة أخرى أو بين حركة وسكون.

٢ – أن الإمام عاصمًا كان له نصيب في قراءة الكسر في جميع الأحرف المذكورة، وكان له مثله في قراءة الإسكان أيضا؛ فقد روى عنه حفص الكسر في ثلاثة أحرف والإسكان في حرف واحد، وروى عنه شعبة الكسر في حرف واحد والإسكان في ثلاثة أحرف، وذلك يعني أن نسبة الكسر ونسبة الإسكان عند عاصم متساويتان، وهو ما حصل أيضا عند ابن كثير وابن عامر والكسائي إذ قرأ

(١) يري بعضهم أن قراءة شعبة هذه رافقها إشمام الدال الضم. انظر: السبعة، ص٣٨٨، والتوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم: ص٢٩١ .

كل واحد منهم حرفيْن بالكسر وحرفيْن بالإسكان. وغلبت نسبة الإسكان عند كل من نافع (٦٢,٥٪) وحمزة (٧٥٪). وقرأ أبوعمرو كل ذلك بالإسكان.

٣ – الأصوات المختلف في قراءتها بين الكسر والإسكان: ثلاثة منها تمثل عين الكلمة، والرابع ورد ثالثا في كلمة. أحد هذه الأصوات حلقي هو العين من «نعمّا» واثنان لثويان هما النون من «لدنه» والراء من «بورقكم» والرابع غاري هو الجيم من «رجلك».

٢ – علل المختلف فيه بين الكسر والإسكان :

إن التعليل لقراءتيْ الكسر والإسكان في هذه الأحرف الأربعة المذكورة – إضافة إلى كونها لغات – لايخرج عن أحد أمور ثلاث هي الانسجام الصوتي والتخفيف والأصل.

أ – **أما الانسجام الصوتي** : فيتحقق في حالة الكسر دون الإسكان. وقد تجتمع علتا الانسجام الصوتي والأصل في قراءة الكسر، فإن كانت قراءة الإسكان هي الأصل كان الانسجام الصوتي متحققا نتيجة لإتباع الكسرة الكسرة.

فأما ما اجتمع فيه الانسجام والأصل فقراءة ابن كثير وورش عن نافع وحفص عن عاصم في الحرف رقم ١ (نِعِمَّا) وكذا قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم في الحرف رقم ٤ (بِوَرِقِكُمْ).

أما «نِعِمَّا»، بكسر العين، فذلك هو الأصل فيها، أي: نَعِمَ، مبنيّة على «فَعِلَ» (وهي التي قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائي) وكسرت النون لأجل كسر حرف الحلق وهوالعين، وتلك لغة هُذيل حيث كانوا يجعلون حركة فاء الفعل الثلاثي من حركة عينه إذا كانت حرف حلق[1]، وقال ابن جني: «أصل قولنا: نِعْمَ الرجل

(١) انظر: الحجة في علل القراءات السبع ٢/٢٩٧ والتوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم، ص٧٤.

ونحوه: نَعِمَ كعَلِمَ. وكل ما كان على «فَعِلَ» وثانيه حرف حلقي فلهم فيه أربع لغات، وذلك نحو: فَخِذٌ، ومَحِكٌ[1] ونَغِرٌ[2] بفتح الأول وكسر الثاني على الأصل، وإن شئت أسكنْتَ الثاني وأقررت الأول على فتحه فقلت: فَخْذٌ ومَحْكٌ ونَغْرٌ، وإن شئت أسكنْتَ ونَقَلْتَ الكسرة إلى الأول فقلْتَ: فِخْذٌ ومِحْكٌ ونِغْرٌ، وإن شئْتَ أتبعْتَ الكَسْرَ الكَسْرَ فقلت: فِخِذ ومِحِك ونِغِر... فعلى هذا تقول: نَعِمَ الرجلُ، وإن شئت: نَعْمَ، وإن شئت: نِعْمَ وإن شئت: نِعِمَ»[3]. وعليه كان كسر العين - كما ترى - على الأصل، وكان كسر النون للإتباع. وقد عمل كسر هذا وذلك على الانسجام الصوتي.

وأما «بِوَرِقِكُمْ» بكسر الراء، فإن ذلك هو الأصل فيها، أجمع على ذلك علماء العربية[4]. والورق - بكسر الراء - اسم «للفضة مضروبة وغير مضروبة»[5].

وقد عمل اجتماع كسرة الراء مع كسرة القاف (وهي علامة للجر) على تحقيق الانسجام الصوتي.

وأما الانسجام الصوتي الحاصل نتيجة إتباع الكسرةِ الكسرةَ فمتحقق في قراءة حفص عن عاصم في الحرف رقم ٢ (رَجِلِك)، وكذا في قراءة شعبة عن عاصم في الحرف رقم ٣ (لَدُنِه)، فقد كانت قراءة العامة بإسكان الجيم في الأول والنون في الثاني هي الأصل، وعليه فإن قراءة عاصم بالكسر فيهما لم تكن سوى إتباعا؛ قال ابن خالويه في قراءة «رجلك» بكسر الجيم: «والحجة لمن كسر فلمجاورة اللام، لأن اللام كسرت للخفض، وكُسرت الجيم للقرب منها»[6]. وقال في موضع آخر: «وكسرت الجيم إتباعًا لكسرة اللام»[7]. فهذه الجيم - كما ترى - قد كسرت إتباعا لحركة مثلها.

---

(١) مَحِكٌ: من مَحَكَ بمعنى لَجّ. (٢) نَغِرٌ: من نَغَرَ عليه: غلاجوفُه وغَضِبَ.
(٣) المحتسب: ١/٣٥٦، ٣٥٧.
(٤) انظر: الحجة في القراءات السبع، ص٢٢٢ وإعراب القراءات ١/٣٨٩ والكشف ٢/٥٨ ومعاني القرآن ٢/١٣٧.
(٥) الكشاف ٢/٧١٠ وانظر: معاني القراءات ٢/١٠٨.
(٦) الحجة في القراءات السبع، ص٢١٩. (٧) إعراب القراءات ١/٣٧٧.

وأما كسر النون من «لَدُنِه» في رأينا فيجوز لاعتبار الكسرة علامة جر لمّا دخلتْ «مِنْ» على «لدن» وهي مضافة إلى ضمير لحَقْتُه كَسْرَةُ إتباع، وذلك كما هو حال مرادف «لدن» وهو «عِنْدَ» المضاف إلى ضمير إذا لحقه حرف الجر «من» فتقول: من عِنْدِهِ بكسر الدال علامة للجر وكسر الهاء إتباعًا. ويجوز كذلك اعتبار كسرة نون «لدن» لغة عند مَنْ أسكن الدال وأشمّها الضَمَّ، أي أن كسرة النون جيء بها لالتقاء ساكنيْن، وأما كسرة الهاء فللإتباع دائما، وذلك مذهب ابن خالويه[1].

فالكسر في هذيْن الحرفيْن السابقين ليس أصلا فيهما، ولكنّ حصوله مع كسر تابع له أو كونه هو تابعا وغيره متبوعا قد أدى إلى حصول انسجام صوتي ارتضاه الذوق اللغوي العربي الفصيح.

ب - وأما التخفيف: فيتحقق في قراءة الإسكان والإخفاء دون التحريك أو الكسر. نلمس ذلك في إسكان العين من الحرف رقم ١ (نِعْمَّا) وفي إسكان الراء من الحرف رقم ٤ (بِوَرْقِكُمْ).

فأما إسكان العين من «نعمّا» مع إدغام المثلين بعدها.[2] فمختلف في أمر تحقيقه عند النحاة والدارسين؛ قال أبو علي الفارسي: «مَنْ قرأ (فنعمّا) بسكون العين من نعمّا لم يكن قوله مستقيمًا عند النّحْوِيّين لأنه جمع بين ساكنيْن الأول منهما ليس بحرف مدّ ولين»[3]. وردّ ذلك العكبري أيضا للسبب نفسه[4] وقيل: إن الذي روى قراءة الإسكان هذه «لم يضبط القراءة لأن القارئ اختلس كسرة العين فظنه [الراوي] إسكانا»[5]. وذلك أمر رجّحه أبو علي الفارسي فقال: «ولعل أبا عمرو [بن العلاء] أخفى ذلك»[6]. وقال ابن الجزري: «واختلف عن أبي عمرو وقالون وأبي بكر

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع، ص٢٢٢ وإعراب القراءات ١/٣٨٦.

(٢) الميم الأولى ميم نعم، والميم الثانية هي ميم «ما»، اسم موصول.

(٣) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٢٩٦. (٤) انظر: إملاء ما منّ به الرحمن: ١/١١٥.

(٥) إملاء ما من به الرحمن: ١/١١٥. (٦) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٢٩٧.

[شعبة] فروى عنهم المغاربة قاطبة إخفاء كسرة العين ليس إلاّ، يريدون الاختلاس فرارا من الجمع بين السّاكنيْن»[1].

إنّ إشارة علماء القراءات إلى هذه الحالة بالإسكان في هذا الحرف وغيره لا يعني أبداً أنه إسكان تام حقيقي، بل هو من باب تخفيف لكسرة العين لاحذف لها، وهو ما عبّر عنه بعضهم الآخر بالاختلاس أو الإخفاء[2]، لكون الصوت لا يصل إلى السّامع محققا تحقيقا كُلّيًا مع حركته، لأن القارئ لم يُسْمِعْ به إلا نفسه، ومن ثم يُخيل للسامع أو الرّاوي أن القارئ أسْكنَ. وهذه حالة لا يوجد ما يقابلها في الكتابة العربية، فلا يقال مثلا: إن عين نعم مكسورة ساكنة، ومن ثم وجدتهم يغلبون أحدهما فقالوا: هي ساكنة. حال ذلك كحال تغليبهم ضم الدال من «لدن» عن الإسكان تسمية في قراءة من كسر النون، وهو في الواقع دليل إشمام لادليل ضم.

إن كون عين «نعم» على تلك الصورة لا يمنع أبداً من القول أن بها تخفيف، فذلك محقق مسعيّ إليه.

وأما إسكان الراء من «بورقكم» فهي قراءة أبي عمرو وحمزة وشعبة عن عاصم، لاخلاف أنها رُويت عنهم بالإسكان إرادة للتخفيف حالها حال من يقول في مثل: كَبِدٌ كَبْدٌ، وكَتِفٌ كَتْفٌ بإسكان عين الكلمة، وهي لغة نسبها سيبويه إلى بكر ابن وائل وأناس من تميم فيما عنْوَن له بـ«باب ما يسكّن استخفافا وهو في الأصل متحرك»[3] وقال معللا لذلك: «وإنما حملهم على هذا أنّهم كرهوا أن يرفعوا السنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخف عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل»[4].

---

(١) النشر في القراءات العشر: ١/ ٢٣٥ .

(٢) الإخفاء في الأصل يكون للصامت، يكون للميم مع الباء خاصة، ويجوز أن يُحمل بمعنى عام فيدل على خفاء أي صوت بما في ذلك الصائت. راجع: النشر: ١/ ٢٢٢، ٢٥٤ .

(٣) كتاب سيبويه: ٤/ ١١٣ . (٤) كتاب سيبويه: ٤/ ١١٤ .

جـ - **وأما الأصل**: كعلة قرئ لأجلها فتحقق ذلك في الحالتيْن: في القراءة بالكسر، وفي القراءة بالإسكان، فـ«نعمّا» قرأها ابن كثير وورش عن نافع وحفص عن عاصم بكسر العين على الأصل وكسروا النون إتباعا. واكتفى ابن عامر وحمزة والكسائي بكسر العين على الأصل[1]. كذلك قرأ من قرأ «بورقكم» بكسر الراء على الأصل، وهو مذهب ابن خالويه الذي قال: «فالحجة لمن كسر أنه أتى به على أصله»[2]. وهو ما ذهب إليه مكي بن أبي طالب القيسي كذلك[3].

وقرأ القراء السّبعة «رجْلك» بإسكان الجيم على الأصل؛ فهو جمع «راجل» كما يقال في جمع راكب «ركْب» بإسكان الكاف، وفي جمع صاحب «صَحْب» بإسكان الحاء[4].

وقرأ السّبعة كذلك «لدنه» بإسكان النون للعلة نفسها لأن «لدن» ظرف غير متمكن، وغير المتمكن الأصل فيه عند النحاة البناء على السكون[5].

---

(١) انظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٢٩٨ .

(٢) الحجة في القراءات السبع، ص٢٢٢ . وانظر: إعراب القراءات ١/٣٨٩ .

(٣) انظر: الكشف ٢/٥٨ .

(٤) انظر: معاني القراءات ٢/٩٦، والكشف ٢/٤٩، والحجة في القراءات السبع، ص٢١٩ .

(٥) راجع باب المعرب والمبني في النحو العربي.

المبحث الخامس : بين الضم والإسكان

أولا : المختلف فيه بين الضم والإسكان

مجموع ما اختلف فيه بين الضم والإسكان في النصف الأول من القرآن الكريم ثلاثة عشر (١٣) حرفا، منها حرفان مكرران أحدهما كرر خمس مرات والآخر مرتين. وهذا بيان ذلك :

جدول رقم : (١٢)

الرقم التسلسلي	الحرف المختلف فيه	من قوله تعالى	السورة ورقم الآية	بالضم / بالإسكان	المقرئ
١	خطوات	وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ	البقرة ١٦٨	بضم الطاء	ابن كثير وابن عامر والكسائي وعاصم (رواية حفص)
				بإسكاء الطاء	نافع وأبو عمرو وحمزة وعاصم (رواية شعبة)
٢	اكلها	فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ	البقرة ٢٦٥	بضم الكاف	ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
				بإسكان الكاف	ابن كثير ونافع وأبو عمرو
٣	رسل	وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ.	البقرة ٢٨٥	بضم السّين	السّبعة
		وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ	الأعراف ١٠١		
		أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ	التوبة ٧٠		

		وَجَـاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ جَـاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ	يونس١٣ إبراهيم٩	بإسكان السين	أبو عمرو (عند إضافة رسل إلى ضمير من حرفين)
٤	الرُّعْبَ	سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ	آل عمران ١٥١	بضم العين	ابن عامر والكسائي
				بإسكان العين	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة
٥	للسّحت	سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ	المائدة ٤٢	بضم الحاء	ابن كثير وأبو عمرو والكسائي
				بإسكان الحاء	نافع وابن عامر وعاصم وحمزة
٦	أذن..أذن	وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ	التوبة٦١	بضم الذال	السّبعة عدا نافع
				بإسكان الذال	نافع
٧	قربة	وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ	التوبة٩٩	بضم الراء	نافع
				بإسكان الراء	بقية السبعة
٨	جرف	أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ	التوبة ١٠٩	بضم الراء	ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي وعاصم (رواية حفص)
				بإسكان الراء	ابن عامر وحمزة وعاصم (رواية شعبة)

٩	القُدس	قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالحَقِّ	النحل ١٠٢	بضم الدال	السبعة عدا ابن كثير
				بإسكان الدال	ابن كثير
١٠	عُقبًا	هُنَالِكَ الوَلَايَةُ لِلّه الحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا	الكهف ٤٤	بضم القاف	ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي
				بإسكان القاف	عاصم وحمزة
١١	رُشدًا	قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا	الكهف ٦٦	بضم الشين	ابن عامر
				بإسكان الشين	بقية السبعة عدا أبي عمرو(١)
١٢	نُكرًا	لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا فَيُعَذِّبَهُ عَذَابًا نُكْرًا	الكهف ٧٤ الكهف ٨٧	بضم الكاف	نافع وابن عامر وعاصم (رواية شعبة)
				بإسكان الكاف	ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم (رواية حفص)
١٣	رُحمًا	فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا	الكهف ٨١	بضم الحاء	ابن عامر وأبو عمرو (في رواية)(٢)
				بإسكان الحاء	ابن كثير ونافع وعاصم وحمزة والكسائي وأبو عمرو (في رواية)(٢)

وإذا عدنا إلى الجدول السابق (رقم ١٢) لاستنتاج شيء ما، فإننا سوف نخرج بالنتائج الأولية الآتية:

١ – كل الأحرف المختلف فيها هنا بين الضم والإسكان أسماء ثلاثية مفردة عدا الحرف الأول (خطوات) والحرف الثالث (رسل) جَاءَا بصيغة الجمع.

(١) قراءة أبي عمرو في هذا الحرف بفتح الراء والشين. انظر: السبعة في القراءات، ص٣٩٤ .
(٢) انظر هذه الرواية في كتاب: السبعة في القراءات، ص٣٩٧ .

٢ – كل الأحرف المذكورة اختلف في العين منها، ولم يُختلف لا في الفاء لوجوب تحرك الأول في العربية ولا في اللام لكونها موضع الإعراب في الغالب.

٣ – مذاهب القراء بين الضم والإسكان لا تكاد تُتَحَدَّدُ كما هي مذاهبهم بين الضم والكسر سوى القليل منهم ممن غلب الضم عنده أو الإسكان، وهذا بيان ذلك:

جدول رقم : (١٣)

المقرئ	عدد المرات التي ضم فيها	عدد المرات التي كسر فيها	نسبة الضم عنده	نسبة الكسر عنده	ملاحظات
ابن كثير	٦	٧	٪٤٦,١٥	٪٥٣,٨٥	–
نافع	٦	٧	٪٤٦,١٥	٪٥٣,٨٥	–
أبو عمرو	٥	٦	٪٤٥,٨٣	٪٥٤,١٧	اختلف عنه في رقم ١٣ (رحما) وقرأ رقم ١١ (رشدا) بالفتح
ابن عامر	١٠	٣	٪٧٦,٩٣	٪٢٣,٠٧	–
عاصم	٤	٦	٪٤٢,٣١	٪٥٧,٦٩	اختلف عنه في ١ (خطوات) و٨ (جرف) و١٢ (نكرا)
حمزة	٤	٩	٪٣٠,٧٧	٪٦٩,٢٣	–
الكسائي	٩	٤	٪٦٩,٢٣	٪٣٠,٧٧	–

وهذا يعني أن ابن عامر أكثرهم ضما كما هو حاله فيما اختلف فيه بين الضم والكسر، ويليه الكسائي ثم ابن كثير ونافع ثم أبو عمرو ثم عاصم ثم حمزة، ومن ثم

فإن حمزة أكثرهم تسكينا ثم يليه عاصم ثم أبوعمرو ثم ابن كثير ونافع ثم الكسائي ثم ابن عامر.

إن هذه المعطيات تؤكد على أن القراءة الصحيحة في الأحرف المذكورة أساسها الرواية عن المعلم الأول وليس للغات العربية السائدة أو البيئة اللغوية أثر مباشر معيّن في المقرئ.

ثانيا: علل المختلف فيه بين الضم والإسكان

إن الدراسات اللغوية والتاريخية العربية تشير في مجملها إلى أن أهل الحجاز يضمون حيث يسكن غيرهم من أهل نجد[1]. وهو أمر لا تعكسه قراءة المقرئين؛ فابن كثير ونافع إمَامًا حاضرتيْ أهل الحجاز نسبة الإسكان عندهما أكثر، وأئمة الكوفة الثلاثة عاصم وحمزة والكسائي لم يكن في قراءتهم دليل على اغترافهم من لغة القبائل النجدية المهاجرة إلى الكوفة ماعدا حمزة فإن نسبة التسكين عنده أعلى، ولكن تلميذه وصاحبه الكسائي شذّ فخالف فكانت نسبة الضم – لغة أهل الحجاز – أعلى عنده بكثير من نسبة الإسكان.

وبالجملة فإن التعليل لما اختلف فيه بين الضم والإسكان لا بد أن يُعوّل فيه على ما يأتي:

أ – أن الضم يكون لأحد أمرين:

١ – الانسجام الصوتي.

٢ – مراعاة الأصل.

ب – أن الإسكان يكون لأحد أمرين أيضا:

١ – التخفيف في النطق.

٢ – مراعاة الأصل.

---

(١) انظر: من لغات العرب (لغة هذيل)، ص٣٣ .

فأما الانسجام الصوتي فإنه متحقق في قراءة الضم بجميع الأحرف المذكورة، إذ أنّ ضم عين الكلمة جاء إتباعا لضم فائها فأدى ذلك إلى حدوث انسجام صوتي لكون الحركة هي هي في الفاء وفي العين، وهو ما يعني عدم انتقال اللسان والشفتين من وضع إلى وضع آخر، «وقد برهنت الملاحظة الحديثة على أن الناطق حين يقتصد في الجهد العضوي يميل دون شعور منه أو تعمّد إلى الانسجام بين حركات الكلمات»[1]. حيث لم يمنع في هذه الأحرف تتابع حركات الضم من حدوث ذلك الإنسجام، مع الإقرار بأن الضم هو أثقل الحركات على اللسان، وإنما يكون أثقل عند انتقال اللسان من حالة غير الضم إلى حالة الضم، فالانتقال مثلا من الفتح إلى الكسر أيسر من الانتقال منه إلى الضم.

أما مراعاة الأصل اللغوي في بعض الأحرف التي ضمت عينها فذلك أمر قرره أعلام العربية، ونحن لا نملك إلا قبوله والإحالة عليه، وهم في حكمهم على أصلية بعض الصيغ دون بعض يستندون إلى القياس أو غلبة الاستعمال.

من الأحرف التي استندوا في ضم عينها إلى علة الأصل: الحرف رقم ٣ (رسل)، فإن ضم السين هو الأصل لغلبة الاستعمال والقياس معا، فقد قرأ القراء السّبعة جميعهم كذلك ولم يخالفهم غير أبي عمرو بن العلاء في رواية. كذلك فإن اللغويين مجمعون على أن كل اسم مفرد جاء على صيغة فَعُول فإن وزن جمعه القياسي فُعُلٌ بضم الفاء والعين، قال الفارسي: «وجه قراءة من ثقّل.. أن أصل الكلمة على فُعُل بضم العين.»[2]. كذلك الحرف رقم ٤ (الرعب)، فإن ضم العين فيه عند الفارسي هو الأصل[3].

وقال ابن خالويه في ضم الذال من الحرف رقم ٦ (أذن): «فالحجة لمن ضم أنه

---

(١) في اللهجات العربية، ص٩٧.
(٢) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٣٣٥.
(٣) انظر: المصدر السابق: ٢/ ٣٩٠.

أتى به على الأصل»[1]. والأذن هنا تعني «الرجل الذي يصدّق كل ما يَسْمَعُ، ويَقْبَل قول كل أحد»[2].

واعتبر ابن خالويه ضم الراء من الحرف رقم ٧ (قربة) أصلا مثل ضم الذال في «أذن»، قال: «فالحجة في ذلك كالحجة في أُذُن»[3]. غير أن معاصره أبا منصور الأزهري رأى أن «قربة» مبنية أصلا على فُعْلَة بإسكان العين[4].

كذلك حال ضم عين الكلمة من الحرف رقم ٨ (جرف) والحرف رقم ٩ (القدس) والحرف رقم ١٠ (عقبا) فإن ذلك معلل عندهم بكونه أصلا[5].

وأما التخفيف في النّطق فهي العلة التي استند إليها اللغويون القدماء والدارسون المحدثون في تفسيرهم لظاهرة الإسكان في أحرف كثيرة مما ذكرناه ومما لم نذكره.

وإذا كان هروب بعض العرب من توالي الفتحات مع خفة ذلك فُيسَكّنون بعض الحروف المفتوحة فإن هروبهم إلى التّسْكين عند توالي الضمات أولى لأن الضم أثقل من الفتح.

إن المختلف فيه بين الضم والإسكان من الأحرف المذكورة والتي علل للضم فيها بالأصل قد عُلّلَ للإسكان فيها بالتخفيف، من ذلك أن كل جمع اشتهر على وزن فُعُل بضم الفاء والعين يجوز فيه فُعْل بإسكان العين تخفيفا كما هو حال «رُسُلهم» فإنه يجوز فيها «رُسْلهم» بإسكان السين، وهي قراءة أبي عمرو عند إضافة «رسل» إلى ضمير من حرفين[6]. ومنه أيضا قولهم في كُتُب: كُتْب بإسكان التاء[7].

أما ماجاء من المفرد في الأصل على فُعُل بضم العين فإنه قد غلب فيه فُعْل

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص١٧٦. (٢) الكشاف: ٢/٢٨٤.
(٣) الحجة في القراءات السبع: ص١٧٦. (٤) معاني القراءات: ١/٤٦٢.
(٥) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص٨٥، والكشف عن وجوه القراءات ١/٢٥٣ و٢/٦٣.
(٦) انظر: السّبعة في القراءات: ص١٩٥. (٧) انظر: الكشاف: ١/٣٣١.

بإسكان العين في الاستعمال الحديث لخفة ذلك حتى ليبدو أنه هو الأصل والضم فرع عليه، بل ربما لم يستسغ كثير من المحدثين الضم فيعتبرونه خطأ أو شاذا إذا اعترضهم، ذلك أننا لا نكاد نسمع كلمات مثل: الرعب والسحت والجرف والقدس والنكر إلا وهي ساكنة العين، أي الثاني، ولا شك أن ذلك جار في اللغات إذ كثيرا ما يغلب الفرع على الأصل والمجاز على الحقيقة.

أما ما قرئ بإسكان عينه مراعاة للأصل اللغوي كذلك فإنه قليل، رجّح منه علماء العربية ثلاثة من الأحرف المذكورة، هي:

- **الحرف رقم ١ (خطوات)**: ذهب الفارسي إلى أن إسكان الطاء هو القياس أو الأصل؛ قال: «أما الخطوة فإنهم قد قالوا: خَطَوْتُ خَطْوَةً، كما قالوا: حَسَوْتُ حَسْوَةً. والحُسْوَةُ: اسم ما يُحْسَى، وكذلك: غَرَفْتُ غَرْفَةً. والغُرْفَةُ: اسم ما اغْتُرِفَ. فعلى هذا القياس يجوز أن تكون الخَطْوَةُ والخُطْوَةُ»[١]. فيكون قد ذكر حالتين في فاء «خطوة» هما الفتح والضم ليس بينهما ضم الطاء، ثم قال في قراءة «خطوات» بإسكان الطاء: إنهم «تركوها في الجمع على ما كانت عليه في الواحد»[٢]. أي أنهم حملوها على أصلها في المفرد. وفي «لسان العرب» أن جمع خَطْوة: خُطًى وخُطْوَات وخُطُوَات. وفيه أنه إنما يكون قد رُجّح إسكان الطاء في «خطوات» لاجتماعها مع الواو.[٣] أي أن النطق بالطاء وهي مضمومة وبعدها واو - وهو من جنس الضم - يكون ثقيلا، فسكّنت الطاء لأجل ذلك حتى يسهل النطق بالكلمة.

- **الحرف رقم ١١ (رشدا)**: ذهب ابن خالويه إلى أن إسكان الشين فيه هو الأصل، وذلك ما يُفهم من تعليله لقراءة الضم بأن من فعل ذلك «فإنه أتبع الضمَّ الضمَّ مثل السُّحْت والسُّحُت والبُخْل والبُخُل»[٤]. فقد علل لقراءة الضم بغير علة

---

(١) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٢٠٣.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٢٠٥.
(٣) انظر: لسان العرب: ٢/١٢٠٥، مادة: خطا.
(٤) إعراب القراءات: ١/٤٠١ وانظر: الحجة في القراءات السبع، ص٢٢٦.

الأصل مما يعني أن غيرها، أي الإسكان، هو الأصل، ثم إنه قد شبّه ذلك بالسُّحْت والبُخْل اللذين سُكّنت عينهما في الأصل – حسب رأيه – وكان ضمهما فرعًا.

– **الحرف رقم ١٣ (رحما)**: اختُلف في ضم الحاء منه وإسكانها، كما اختلف في أيّهما الأصل وأيّهما الفرع، ورجّح بعضهم أن تكون قراءة الإسكان هي الأصل لأنها قراءة العامة. قال ابن خالويه: «وهو الأكثر في كلامهم»(١).

والأرجح أن نتحفظ فلا ندعي أن الإسكان – في هذه الأحرف وما شابهها – هو الأصل وأن الضم فرع عليه أو أن الضم هو الأصل والإسكان فرع عليه لأن ذلك كله لغات صحيحة، الضم في الغالب لغة أهل الحجاز، والإسكان في الغالب لغة أهل نجد.

نعُود في نهاية هذا الفصل لنؤكد على أن ما ورد فيه من اختلاف القراء الأصل فيه أن يقال إن ذلك لغات فصيحة. وأما بقية العلل الأخرى فهي محتواة في تلك اللغات منتمية إليها وشارحة لها.

---

(١) إعراب القراءات: ١ / ٤١٠.